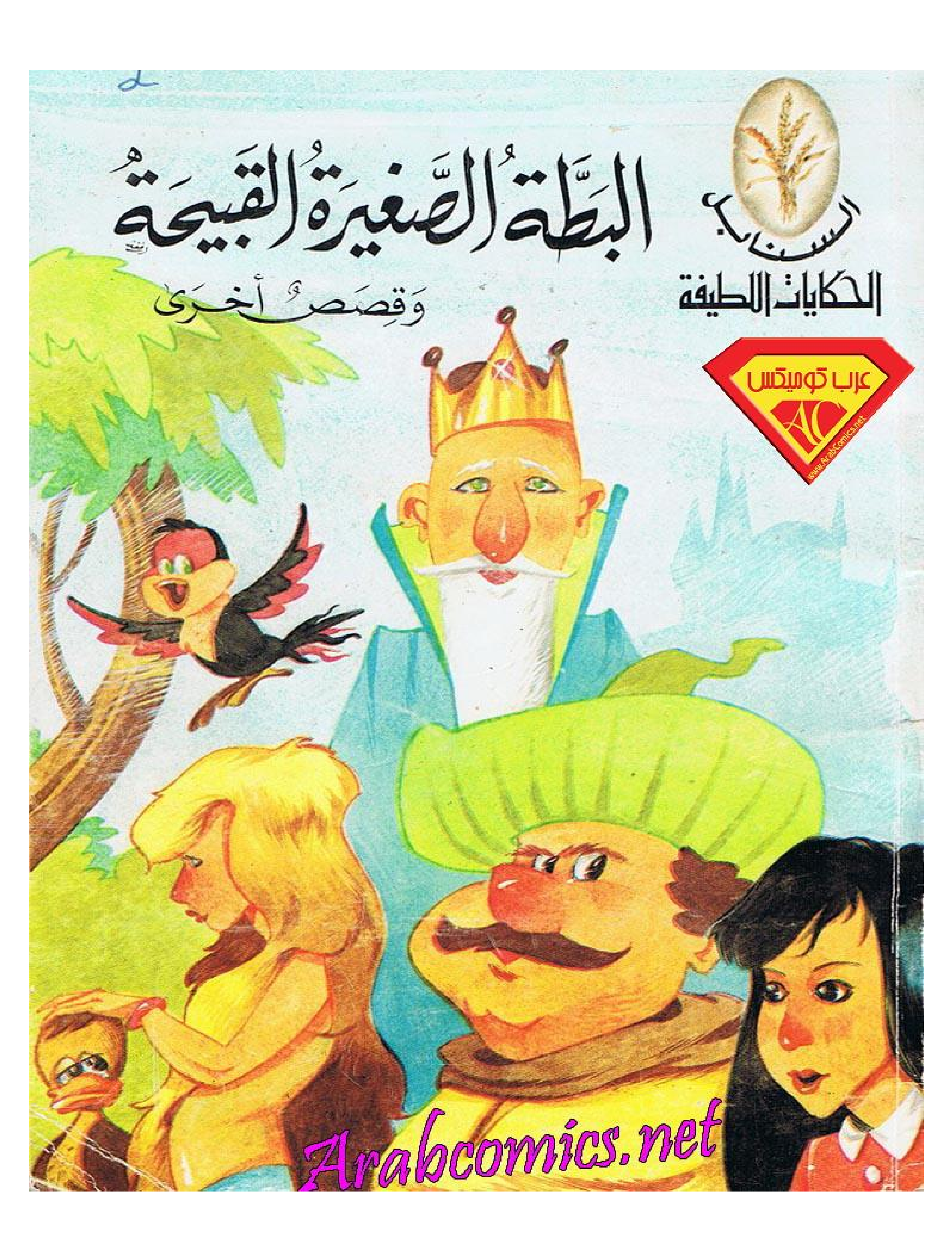


لبنان
الحكايات اللطيفة
البطة الصغيرة القبيحة
وقصص أخرى
عرب كوميكس
Arabcomics.net

السنابل

الحكايات اللطيفة

البطة الصغيرة القبيحة

وقصص أخرى



تأليف : هانز كريستيان أندرسن

إعداد : شوقي رياض السنورسي

رسوم : علاء الدين سعد

مكتبة لبنان

بيروت

١٠ أ شارع حسين واصف ، ميدان المساحة ، الدقي - الجيزة

الطبعة الثانية
رقم الإيداع : ٢٣٠٥ / ٨٨
الترقيم الدولى : ISBN ٩٧٧-١٤٤٥-٦٣-٤

طبع بمطابع دار المعارف - القاهرة

البَطَّةُ الصَّغيرةُ القَبيحةُ

وَقَعَتْ أَحْداثُ هٰذِهِ القِصَّةِ في مِنْطَقَةٍ رِيفِيَّةٍ مَناظِرُها جَميلةٌ ، حَيْثُ تَمْتَدُّ غابَةٌ فَسيحةٌ بِمُحاذاةِ الحُقولِ . يَتَخَلَّلُ الغابَةَ عَدَدٌ مِنَ الأَنْهارِ الصَّغيرةِ ، وَتَنْمو بِجِوارِ الأَنْهارِ حَشائِشُ بالِغَةُ الطُّولِ . وَلٰكِنْ ، كانَ المَكانُ مُوحِشًا مُنْعَزِلًا ، لا يَقْصِدُهُ أَحَدٌ مِنَ النّاسِ . وَكانَ يَقومُ وَسَطَ الغابَةِ كُوخٌ قَديمٌ .

ذَهَبَتْ بَطَّةٌ إلى الغابَةِ ذاتَ يَوْمٍ ، لِتَحْضُنَ بَيْضَها . وَظَلَّتْ تَحْضُنُهُ وَقْتًا طَويلًا حَتَّى سَئِمَتْ ، وَبَدَأَتْ تَشْعُرُ بِالضِّيقِ . وَكانَتْ أَخَواتُها البَطّاتُ تَسْبَحُ بِمَرَحٍ في مِياهِ الأَنْهارِ القَريبةِ ، وَتَرْفُضُ البَقاءَ إلى جِوارِها ، وَهيَ تَحْضُنُ البَيْضَ بَيْنَ الحَشائِشِ الطَّويلةِ .

أَخيرًا انْفَلَقَ البَيْضُ ، وَخَرَجَ مِنْهُ عَدَدٌ مِنَ البَطِّ الصَّغيرِ . وَصاحَ البَطُّ لَحْظَةَ أَنْ أَطَلَّ بِرُؤُوسِهِ الصَّغيرةِ خارِجَ البَيْضِ : « تْشِك ... تْشِك . »

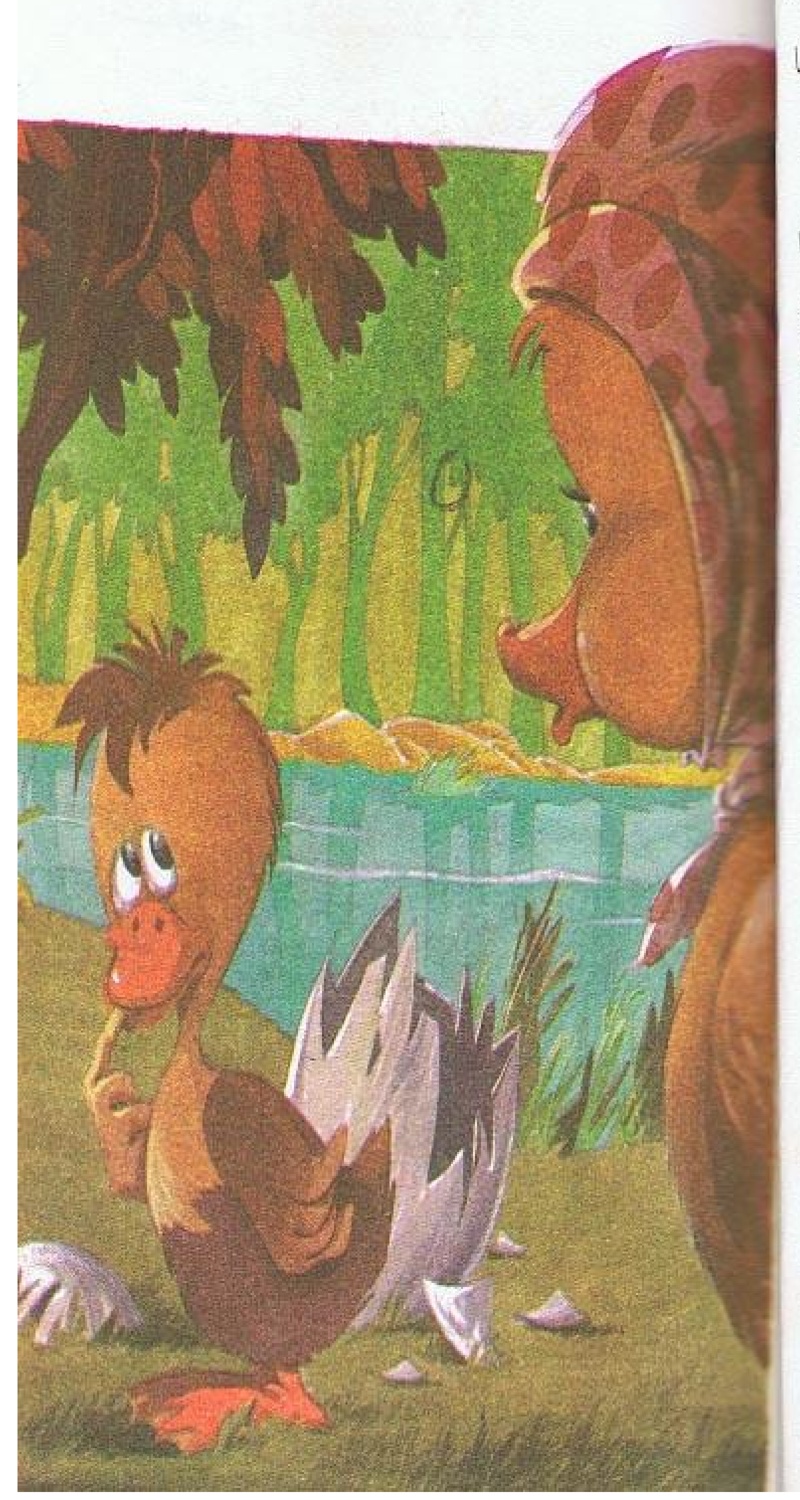
وَرَدَّتِ الأُمُّ عَلى صِغارِها بِصَوْتٍ أَجَشَّ : « كُواك ... كُواك . »

عِنْدَئِذٍ نَهَضَ البَطُّ الصَّغيرُ ، وَنَظَرَ إلى الحَشائِشِ الطَّويلةِ مِنْ حَوْلِهِ ، ثُمَّ قالَ : « لَكَمْ يَبْدو كُلُّ شَيْءٍ هُنا كَبيرًا ضَخْمًا ! »

قامَتِ البَطَّةُ الأُمُّ عَنْ بَيْضَةٍ كَبيرةٍ قائِلَةً : « ما زالَتْ هُنا بَطَّةٌ لَمْ تَخْرُجْ حَتَّى الآنَ ، فَإِنَّ أَضْخَمَ بَيْضَةٍ لَمْ تَنْفَلِقْ بَعْدُ . تُرى إلى مَتى سَيَسْتَمِرُّ هٰذا ؟ أَنا لا أُريدُ أَنْ أَحْضُنَ البَيْضَةَ طَوالَ النَّهارِ ! » غَيْرَ أَنَّها عادَتْ وَحَضَنَتْها ثانيةً .

جاءَتْ بَطَّةٌ أُمٌّ أُخْرى لِزِيارَتِها ، وَسَأَلَتْها : « كَيْفَ حالُكِ ؟ »

أَجابَتِ البَطَّةُ الأُمُّ : « لَقَدِ اضْطَرَّتْني هٰذِهِ البَيْضَةُ الضَّخْمَةُ إلى حَضْنِها وَقْتًا طَويلًا ، غَيْرَ أَنَّها لَمْ تَنْفَلِقْ حَتَّى الآنَ ! وَلٰكِنِ انْظُري بَطِّي الصَّغيرَ الجَميلَ ، إِنَّهُ أَجْمَلُ وَأَرْشَقُ بَطٍّ صَغيرٍ رَأَيْتُهُ في حَياتي . »



قالَتِ ٱلبَطَّةُ ٱلأُخرى : « أُريدُ أَنْ أَرى ٱلبَيْضَةَ ٱلَّتي لَمْ تَنْفَلِقْ بَعْدُ . »

وَنَظَرَتْ إلى تِلْكَ ٱلبَيْضَةِ ثُمَّ قالَتْ لِلأُمِّ : « إنَّها بَيْضَةٌ في غايَةِ ٱلضَّخامَةِ حَقًّا ، وَلٰكِنْ يَجِبُ عَلَيْكِ أَنْ تَتْرُكيها لِتُعَلِّمي صِغارَكِ ٱلنُّزولَ إلى ٱلنَّهْرِ وَٱلعَوْمَ في مِياهِهِ . »

أَجابَتِ ٱلبَطَّةُ ٱلأُمُّ : « كَلّا ! سَأَحْضُنُها فَتْرَةً أُخرى . »

وَأَخيرًا ٱنْفَلَقَتِ ٱلبَيْضَةُ ٱلكَبيرةُ ، وَتَدَحْرَجَ مِنْها إلى ٱلخارِجِ فَرْخُ بَطٍّ ضَخْمٌ ، وَصاحَ : « تْشِك ... تْشِك . »

وَلٰكِنْ يالَلْعَجَبِ ! إنَّهُ فَرْخُ بَطٍّ قَبيحُ ٱلشَّكْلِ ، عَلى ٱلرَّغْمِ مِنْ كَوْنِهِ وَليدًا .

وَتَفَرَّسَتِ ٱلأُمُّ بُرْهَةً ، ثُمَّ قالَتْ : « إنَّهُ فَرْخُ بَطٍّ ذَكَرٌ بالِغُ ٱلضَّخامَةِ ، وَهُوَ لا يُشْبِهُ أَيًّا مِنْ إخْوَتِهِ أَوْ أَخَواتِهِ . غَيْرَ أَنَّهُ يَجِبُ أَنْ يَسْبَحَ أَيْضًا مَعَهُمْ في ٱلماءِ ، وَسَوْفَ أَضَعُهُ مَعَهُمْ في ٱلنَّهْرِ . »

في ٱليَوْمِ ٱلتّالي جَمَعَتِ ٱلأُمُّ صِغارَها مِنَ ٱلبَطِّ وَسارَتْ بِهِمْ إلى ٱلنَّهْرِ . وَما إنْ نَزَلَتِ ٱلأُمُّ إلى ٱلماءِ حَتّى صاحَتْ قائِلَةً : « كُواكْ ... كُواكْ . » وَقَفَزَ نَحْوَها ٱلبَطُّ ٱلصَّغيرُ ، واحِدَةً تِلْوَ ٱلأُخرى . وَغاصَ ٱلبَطُّ لَحَظاتٍ تَحْتَ ٱلماءِ وَلَمْ يَلْبَثْ أَنْ ظَهَرَ عائِمًا عَلى سَطْحِهِ ، وَفي ٱلوَسَطِ كانَ فَرْخُ ٱلبَطِّ ٱلقَبيحُ ، وَنَظَرَتِ ٱلأُمُّ إلَيْهِ ثُمَّ قالَتْ :

« أُنْظُروا كَيْفَ يَسْبَحُ صَغيري في ٱلماءِ . لَكَمْ يَبْدو جَميلًا رائِعًا وَهُوَ يَسْبَحُ ! كُواكْ ، كُواكْ ! تَعالَوْا إلَيَّ يا صِغاري ! لِأُرِيَكُمْ أَشْياءَ كَثيرَةً مُدْهِشَةً ، وَسَوْفَ آخُذُكُمْ مَعي لِرُؤْيَةِ بَطٍّ آخَرَ يَعيشُ في مَكانٍ بَديعٍ . وَلٰكِنِ ٱبْقَوْا بِجانِبي دائِمًا حَتّى لا يَدوسَكُمْ أَحَدٌ بِرِجْلِهِ . وَاحْذَروا ٱلقِطَطَ ٱلهائِمَةَ في ٱلطَّريقِ . »

اِصْطَحَبَتِ ٱلأُمُّ صِغارَها إلى ٱلحَديقَةِ لِرُؤْيَةِ ٱلبَطِّ ٱلآخَرِ . وَما إنْ وَصَلوا إلى هُناكَ ، حَتّى سَمِعوا جَلَبَةً عالِيَةً ، بِسَبَبِ شِجارِ بَطِّ ٱلحَديقَةِ حَوْلَ ٱلطَّعامِ .

وَبَعْدَ حينٍ قالَتِ ٱلبَطَّةُ ٱلأُمُّ لِصِغارِها : « اِذْهَبوا إلى تِلْكَ ٱلبَطَّةِ ٱلعَجوزِ ٱلَّتي تَرَوْنَها هُناكَ وَتَوَدَّدوا إلَيْها ؛ إذْ إنَّها أَعْظَمُ بَطَّةٍ في هٰذِهِ ٱلحَديقَةِ – وَلٰكِنِ ٱبْقَوْا دائِمًا عَلى مَقْرُبَةٍ مِنّي . »

وَفَعَلَ ٱلبَطُّ ٱلصَّغيرُ ما أَمَرَتْ بِهِ ٱلأُمُّ . وَلٰكِنَّ ٱلبَطَّ ٱلَّذي في ٱلحَديقَةِ نَظَرَ إلى ٱلبَطِّ ٱلصَّغيرِ وَقالَ : « ها قَدْ أَتى إلَيْنا مَزيدٌ مِنَ ٱلبَطِّ ، فَأَصْبَحَ عَدَدُنا بِذٰلِكَ كَبيرًا جِدًّا ، وَسَوْفَ نَحْتاجُ إلى طَعامٍ كَثيرٍ . ثُمَّ هٰذا ٱلفَرْخُ ٱلقَبيحُ ٱلشَّكْلِ ، ما ٱلَّذي أَتى بِهِ إلى هٰذا ٱلمَكانِ ؟ يَجِبُ أَنْ نَطْرُدَهُ بَعيدًا عَنّا . »

وَجَرَتْ نَحْوَهُ إحْدى ٱلبَطّاتِ ، وَشَرَعَتْ في عَضِّهِ . فَصاحَتِ ٱلبَطَّةُ ٱلأُمُّ :

« لا تَلْمِسيهِ . إنَّهُ لَمْ يُلْحِقْ بِكِ أَذًى . »

قالَتْ بَطَّةٌ أُخرى : « إنَّهُ فَرْخٌ قَبيحُ ٱلشَّكْلِ ، وَلِهٰذا فَهُوَ يَسْتَحِقُّ ٱلعَضَّ . »

وَأَجابَتِ ٱلأُمُّ : « إنَّهُ لَيْسَ جَميلًا ، وَلٰكِنَّهُ طَيِّبٌ لِلْغايَةِ . كَما إنَّهُ ماهِرٌ جِدًّا في ٱلسِّباحَةِ . أَعْتَقِدُ أَنَّهُ سَيَنْمو نُمُوًّا طَبيعِيًّا مِثْلَ إخْوَتِهِ بِمُضِيِّ ٱلوَقْتِ . لَقَدْ مَكَثَ داخِلَ بَيْضَتِهِ زَمَنًا أَطْوَلَ مِنَ ٱلمُعْتادِ . وَهٰذا هُوَ ٱلسَّبَبُ في أَنَّهُ يَبْدو مُخْتَلِفًا عَنْهُمْ في ٱلوَقْتِ ٱلحاضِرِ . »

وَلٰكِنَّ كُلَّ ٱلبَطِّ ٱلَّذي في ٱلحَديقَةِ لَمْ يَلْبَثْ أَنِ ٱنْهالَ نَقْرًا عَلى فَرْخِ ٱلبَطِّ ٱلمِسْكينِ ، وَهُمْ يَصيحونَ قائِلينَ : « إنَّهُ فَرْخُ بَطٍّ قَبيحُ ٱلشَّكْلِ جِدًّا . »

وَاضْطَرَبَ فَرْخُ ٱلْبَطِّ ، وَلَمْ يَدْرِ ماذا يَفْعَلُ . وَأَحَسَّ بِتَعاسةٍ شَديدةٍ ، لِكَوْنِهِ قَبيحَ ٱلشَّكْلِ . وَمَعَ انْتِهاءِ ٱلْيَوْمِ كانَتْ تَعاسةُ فَرْخِ ٱلْبَطِّ ٱلْقَبيحِ قَدِ ازْدادَتْ . فَقَدْ أَحْجَمَ ٱلْبَطُّ الآخَرُ عَنِ ٱلاقْتِرابِ مِنْهُ أَوِ ٱلتَّحَدُّثِ إِلَيْهِ ، كَما أَخَذَتْ أَخَواتُهُ يَصِحْنَ في وَجْهِهِ قائِلاتٍ : « لَيْتَ ٱلْقِطَّةَ تَفْتَرِسُكَ ، حَتّى لا تَقَعَ عُيونُنا عَلى شَكْلِكَ ٱلْقَبيحِ ! » وَحَتّى ٱلْبَطَّةُ ٱلْأُمُّ نَهَرَتْهُ ذاتَ مَرَّةٍ صائِحَةً : « اغْرُبِ ٱلآنَ عَنْ وَجْهي ، فَأَنا لا أُطيقُ ٱلنَّظَرَ إِلَيْكَ ! »

وَهٰكَذا اضْطُرَّ فَرْخُ ٱلْبَطِّ ٱلتَّعِسُ إِلى ٱلْهَرَبِ خارِجَ ٱلْحَديقَةِ . وَفَزِعَتْ لِرُؤْيَتِهِ ٱلطُّيورُ ٱلصَّغيرةُ ٱلَّتي تَعيشُ فِي ٱلأَشْجارِ . وَحَزِنَ فَرْخُ ٱلْبَطِّ لِذٰلِكَ حُزْنًا شَديدًا ، وَقالَ لِنَفْسِهِ : « لا أَحَدَ يُحِبُّني عَلى ٱلإِطْلاقِ ، لِأَنَّني دَميمُ ٱلْخِلْقَةِ ! » ثُمَّ أَغْمَضَ عَيْنَيْهِ ، وَانْطَلَقَ يَجْري ، حَتّى وَصَلَ فِي ٱلنِّهايَةِ إِلى حَقْلٍ كَبيرٍ يَعيشُ فيهِ بَطٌّ بَرِّيٌّ . وَقَضى ٱللَّيْلَ بِطولِهِ نائِمًا هُناكَ .

وَفِي ٱلصَّباحِ ، اسْتَيْقَظَ بَطُّ ٱلْحَقْلِ . وما إِنْ وَقَعَ بَصَرُهُ عَلى فَرْخِ ٱلْبَطِّ ٱلْقَبيحِ حَتّى بادَرَهُ قائِلًا : « مَنْ أَنْتَ ؟ »

وَحاوَلَ فَرْخُ ٱلْبَطِّ ٱلْقَبيحُ أَنْ يَكونَ لَطيفًا لِلْغايَةِ مَعَ بَطِّ ٱلْحَقْلِ ٱلْبَرِّيِّ . وَبَعْدَ بُرْهَةٍ قَصيرةٍ ، قالَ ٱلْبَطُّ ٱلْبَرِّيُّ لِفَرْخِ ٱلْبَطِّ ٱلْغَريبِ : « أَنْتَ قَبيحُ ٱلشَّكْلِ جِدًّا . وَمَعَ ذٰلِكَ فَسَوْفَ نَسْمَحُ لَكَ بِٱلإِقامَةِ بَيْنَنا بِشَرْطِ أَلّا تَتَزَوَّجَ بِواحِدَةٍ مِنْ بَناتِنا . »

يا لَلْفَرْخِ ٱلْمِسْكينِ ! إِنَّهُ لَمْ يُفَكِّرْ أَبَدًا فِي ٱلزَّواجِ . كُلُّ ما كانَ يَتوقُ إِلَيْهِ هُوَ أَنْ يَجْلِسَ بَيْنَ ٱلْحَشائِشِ ٱلطَّويلةِ ، وَيَمُدَّ مِنْقارَهُ لِيَشْرَبَ قَليلًا مِنَ ٱلماءِ !

قَضى فَرْخُ ٱلْبَطِّ يَوْمَيْنِ فِي ٱلْحَقْلِ ، وَفِي ٱلْيَوْمِ ٱلثّالِثِ جاءَتْ إِلَيْهِ وَزَّتانِ

بَرِّيَّتانِ . قالَتا : « إِنَّكَ دَميمُ ٱلْخِلْقَةِ ، وَلٰكِنَّنا نَميلُ إِلى صُحْبَتِكَ . هَلّا أَتَيْتَ مَعَنا فَتَكونَ طائِرًا بَرِّيًّا مِثْلَنا ؟ »

وَفي تِلْكَ ٱللَّحْظَةِ ، دَوّى صَوْتُ طَلْقَةٍ نارِيَّةٍ ، وَسَقَطَتِ ٱلْوَزَّتانِ ٱلْبَرِّيَّتانِ مَيِّتَتَيْنِ عَلى ٱلْحَشائِشِ ٱلطَّويلةِ . ثُمَّ انْطَلَقَتْ طَلْقَةٌ أُخْرى ، هَبَّ عَلى أَثَرِها سائِرُ ٱلإِوَزِّ مِنْ بَيْنِ ٱلْحَشائِشِ طائِرًا فِي ٱلْفَضاءِ .

وَتَوالَتِ ٱلطَّلَقاتُ : طاخْ ! طاخْ ! كانَ هُناكَ صَيّادونَ كَثيرونَ يَرْفَعونَ ٱلْبَنادِقَ ، وَيُطْلِقونَ ٱلطَّلَقاتِ عَلى ٱلإِوَزِّ مِنْ جِهاتٍ مُخْتَلِفةٍ . كانوا يُحيطونَ بِفَرْخِ ٱلْبَطِّ ٱلْقَبيحِ مِنْ كُلِّ جانِبٍ ، وَكانَ بَعْضُهُمْ جالِسًا فَوْقَ ٱلأَشْجارِ ، عَلى حينِ كانَتْ كِلابُهُمُ ٱلضَّخْمَةُ تَعْدو بَيْنَ ٱلْحَشائِشِ ٱلطَّويلةِ لِجَلْبِ ٱلصَّيْدِ ٱلْمُتَساقِطِ لَهُمْ .



فَزِعَ فَرْخُ ٱلْبَطِّ وَارْتاعَ لِتِلْكَ ٱلأَحْداثِ ٱلْفَظيعَةِ ٱلَّتي كانَ يَشْهَدُها لِأَوَّلِ مَرَّةٍ . وَأَرادَ ٱلْمِسْكينُ أَنْ يُخْفِيَ رَأْسَهُ فِي ٱلْحَشائِشِ حَتّى لا يَرى شَيْئًا مِمّا

يَدورُ حَوْلَهُ ، وَلٰكِنَّ كَلْبًا ضَخْمًا أَتى وَوَقَفَ بِالقُرْبِ مِنْهُ . وَما إِنْ رَآهُ الكَلْبُ حَتَّى فَتَحَ فَمَهُ الكَبيرَ ، وَلٰكِنَّهُ لَمْ يَلْبَثْ أَنْ تَحَوَّلَ بَعيدًا ، بَعْدَ ما أَلْقى عَلَيْهِ نَظْرَةً ثانِيَةً .

هَدَّأَ فَرْخُ البَطِّ نَفْسَهُ قائِلًا : « مِنْ حُسْنِ حَظِّي أَنَّني قَبيحُ الشَّكْلِ ، فَقَدْ حالَ قُبْحي هٰذا دونَ أَنْ يَلْتَهِمَني الكَلْبُ . »

وَجَلَسَ فَرْخُ البَطِّ ساكِنًا في مَكانِهِ طَوالَ اليَوْمِ ، عَلى حِينَ كانَ دَوِيُّ الطَّلَقاتِ مِنْ حَوْلِهِ يُصِمُّ الآذانَ . وَظَلَّ في خَوْفٍ وَهَلَعٍ ، حَتَّى بَعْدَ أَنْ هَبَطَ اللَّيْلُ . وَبَقِيَ عَلى تِلْكَ الحالِ شَطْرًا طَويلًا مِنَ اللَّيْلِ ، ثُمَّ تَجَرَّأَ أَخيرًا عَلى النُّهوضِ مِنْ مَكانِهِ ، وَلَمْ يَلْبَثْ أَنِ انْطَلَقَ بَعيدًا بِأَقْصى سُرْعَةٍ مُمْكِنَةٍ .

وَصَلَ فَرْخُ البَطِّ أَخيرًا إِلى كوخٍ صَغيرٍ ، وَدَخَلَهُ مِنْ بابِهِ المَفْتوحِ . وَكانَتْ تَعيشُ في ذٰلِكَ الكوخِ امْرَأَةٌ عَجوزٌ ، وَبِرِفْقَتِها قِطَّةٌ وَدَجاجَةٌ . كانَتِ العَجوزُ تُدَلِّلُ القِطَّةَ وَتُناديها قائِلَةً : « يا بُنَيَّتي العَزيزَةَ » . كَما كانَتْ تُحِبُّ الدَّجاجَةَ مِثْلَما تُحِبُّ ابْنَةً لَها تَمامًا – فَقَدْ كانَتِ الدَّجاجَةُ تُزَوِّدُها بِبَيْضٍ طازَجٍ كُلَّ صَباحٍ .

عِنْدَما رَأَتِ القِطَّةُ وَالدَّجاجَةُ فَرْخَ البَطِّ داخِلَ الحُجْرَةِ أَحْدَثَتا جَلَبَةً عالِيَةً . فَسَأَلَتِ العَجوزُ وَهِيَ تُديرُ عَيْنَيْها في جَميعِ أَنْحاءِ الغُرْفَةِ : « ما الَّذي حَدَثَ ؟ »

وَلَمْ تَلْبَثْ عَيْناها الضَّعيفَتانِ أَنْ وَقَعَتا عَلى فَرْخِ البَطِّ . وَلٰكِنَّها تَخَيَّلَتْهُ – لِضَعْفِ بَصَرِها – بَطَّةً كَبيرَةً سَمينَةً قَدْ ضَلَّتْ طَريقَها وَدَخَلَتِ الكوخَ . اِبْتَهَجَتِ المَرْأَةُ بِقُدومِها ، وَقالَتْ لِنَفْسِها : « سَوْفَ أَحْصُلُ مِنَ الآنَ عَلى بَيْضٍ كَبيرٍ مِنْ هٰذِهِ البَطَّةِ . إِنَّ هٰذا مِنْ حُسْنِ حَظّي ! »

وَهٰكَذا جَلَسَتِ المَرْأَةُ العَجوزُ ، وَإِلى جِوارِها القِطَّةُ وَالدَّجاجَةُ ، في انْتِظارِ أَنْ يَبيضَ فَرْخُ البَطِّ ، وَلٰكِنْ طالَ انْتِظارُها دونَ فائِدَةٍ .

وَلَمْ تَلْبَثِ القِطَّةُ وَالدَّجاجَةُ أَنْ تَشاجَرَتا مَعَ فَرْخِ البَطِّ ، فَقَدْ سَأَلَتْهُ الدَّجاجَةُ : « أَلَيْسَ في مَقْدورِكَ أَنْ تَضَعَ بَيْضًا لِلْعَجوزِ كَما أَفْعَلُ أَنا ؟ »

أَجابَ فَرْخُ البَطِّ القَبيحُ الَّذي كانَ ذَكَرًا : « لا ، فَأَنا لا أَبيضُ . »

فَقالَتِ الدَّجاجَةُ : « إِذًا فَلا تَتَحَدَّثْ مَعَنا بَعْدَ الآنَ . »

سَأَلَتِ القِطَّةُ فَرْخَ البَطِّ : « هَلْ تَسْتَطيعُ أَنْ تُحْدِثَ أَصْواتًا ناعِمَةً كَالَّتي أُحْدِثُها عِنْدَما أَكونُ مَسْرورَةً ؟ » وَأَخَذَتِ القِطَّةُ تُخَرْخِرُ في صَوْتٍ خَفيضٍ .

وَأَجابَ فَرْخُ البَطِّ بِالنَّفْيِ .

قالَتْ لَهُ القِطَّةُ : « إِذًا فَعَلَيْكَ بِالصَّمْتِ التَّامِّ عِنْدَما نَشْرَعُ نَحْنُ في الكَلامِ . »

وَمُنْذُ ذٰلِكَ الحينِ أَخَذَ فَرْخُ البَطِّ القَبيحُ يَجْلِسُ في الحُجْرَةِ بِمُفْرَدِهِ ، وَشَعَرَ بِحُزْنٍ شَديدٍ . وَبَدَأَ يُفَكِّرُ في أَصْدِقائِهِ وَفي الشَّمْسِ الدّافِئَةِ ، وَتاقَتْ نَفْسُهُ إِلى السِّباحَةِ في النَّهْرِ البَعيدِ ، فَذَهَبَ إِلى الدَّجاجَةِ وَأَخْبَرَها بِذٰلِكَ .

قالَتْ لَهُ الدَّجاجَةُ : « أَمَريضٌ أَنْتَ أَمْ ماذا ؟ أَراكَ تَجْلِسُ بِلا عَمَلٍ طَوالَ النَّهارِ وَتُفَكِّرُ في أَشْياءَ غَريبَةٍ ! لَوْ أَنَّكَ اهْتَمَمْتَ بِأَنْ تَضَعَ لَنا بَيْضًا ، لَنَسيتَ كُلَّ ما يَدورُ في رَأْسِكَ مِنْ هٰذِهِ الأَفْكارِ . »

أَجابَ فَرْخُ البَطِّ القَبيحُ : « وَلٰكِنَّ السِّباحَةَ في النَّهْرِ شَيْءٌ رائِعٌ . لَكَمْ هُوَ

لَطِيفٌ وَمُمْتِعٌ أَنْ يَسِيلَ ماءُ النَّهْرِ فَوْقَ رَأْسِكِ ! أَنْتِ لَمْ تُجَرِّبي ذٰلِكَ أَبَدًا ! »

رَدَّتِ الدَّجاجَةُ : « لَقَدْ أَيْقَنْتُ الآنَ أَنَّكَ مَريضٌ حَقًّا . لِنَذْهَبْ إِلى القِطَّةِ وَنَسْأَلْها الرَّأْيَ في هٰذا الشَّأْنِ . سَلِ القِطَّةَ هَلْ تُحِبُّ أَنْ يَسيلَ ماءٌ فَوْقَ رَأْسِها ؟ ثُمَّ سَلِ المَرْأَةَ العَجوزَ ، لا يَعْرِفُ أَحَدٌ في العالَمِ أَكْثَرَ مِمّا تَعْرِفُ هِيَ . أَتَظُنُّ أَنَّها تَهْوى النُّزولَ إِلى النَّهْرِ ؟ »

شَرَدَ فَرْخُ البَطِّ بِفِكْرِهِ بَعيدًا ، ثُمَّ قالَ بِصَوْتٍ خافِتٍ : « لَوْ تَعْرِفانِ كَمْ هُوَ مُمْتِعٌ وَلَطيفٌ ! »

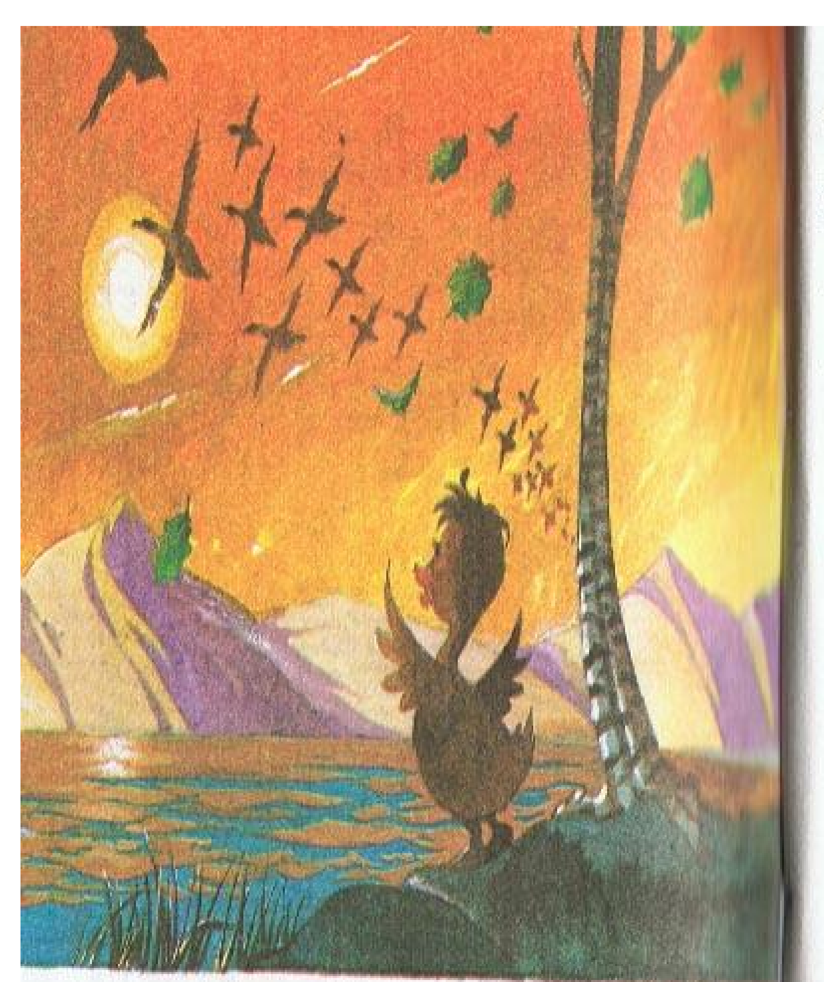
فَرَدَّدَتِ الدَّجاجَةُ ساخِرَةً : « لَوْ نَعْرِفُ كَمْ هُوَ مُمْتِعٌ وَلَطيفٌ ! أَتَظُنُّ أَنَّكَ أَكْثَرُ مَعْرِفَةً مِنَ القِطَّةِ وَمِنَ المَرْأَةِ العَجوزِ ؟ كانَ يَجِبُ عَلَيْكَ ، بَدَلًا مِنْ ذٰلِكَ ، أَنْ تُقَدِّمَ لَنا الشُّكْرَ عَلى حُسْنِ ضِيافَتِنا لَكَ ، وَعَلى أَنَّنا قَدْ سَمَحْنا لَكَ بِالمَعيشَةِ مَعَنا في هٰذا الكوخِ الجَميلِ . اِذْهَبْ وَتَعَلَّمْ أَوَّلًا كَيْفَ تَبيضُ كَما أَبيضُ ، وَكَيْفَ تُخَرْخِرُ كَما تُخَرْخِرُ القِطَّةُ . »

أَجابَ فَرْخُ البَطِّ القَبيحُ في حُزْنٍ شَديدٍ : « لا ، بَلْ أُريدُ أَنْ أَعودَ ثانِيَةً إِلى الغابَةِ وَالحُقولِ . »

عِنْدَئِذٍ صاحَتِ الدَّجاجَةُ غاضِبَةً : « اِرْحَلْ إِذًا مِنْ هٰذا المَكانِ في الحالِ . »

وَهٰكَذا تَرَكَ فَرْخُ البَطِّ كوخَ المَرْأَةِ العَجوزِ . وَسارَ إِلى النَّهْرِ ، وَقَفَزَ إِلى الماءِ ، وَلٰكِنَّ أَحَدًا مِنَ البَطِّ لَمْ يَتَحَدَّثْ إِلَيْهِ ، لِأَنَّهُ كانَ قَبيحَ الشَّكْلِ .

وَسُرْعانَ ما مَرَّتِ الأَيّامُ ، وَأَتى الشِّتاءُ القارِسُ بِثَلْجِهِ وَجَليدِهِ . وَقاسى فَرْخُ البَطِّ المِسْكينُ مِنَ البَرْدِ .



ذاتَ مَساءٍ ، وَالشَّمْسُ مائِلَةٌ لِلْغُروبِ ، رَأى فَرْخُ البَطِّ طُيورًا جَميلَةً كَبيرَةَ الحَجْمِ ، لَمْ يَرَ أَبْدَعَ وَلا أَرْوَعَ مِنْها مِنْ قَبْلُ . كانَتِ الطُّيورُ فائِقَةَ الحُسْنِ ، ناصِعَةَ البَياضِ ، وَكانَتْ مِنْ نَوْعٍ يُسَمّى بِالتَّمِّ أَوِ الإِوَزِّ العِراقِيِّ . وَحَلَّقَتْ تِلْكَ الطُّيورُ البَديعَةُ عالِيًا في السَّماءِ لِتَبْدَأَ هِجْرَتَها عَبْرَ البِحارِ مِنَ البِلادِ البارِدَةِ إِلى مَناطِقَ أَكْثَرَ دِفْئًا . وَتَطَلَّعَ فَرْخُ البَطِّ القَبيحُ طَويلًا إِلى تِلْكَ الطُّيورِ الجَميلَةِ المُهاجِرَةِ ، فَهَفا قَلْبُهُ إِلَيْها ثُمَّ بَكى حُزْنًا لِفِراقِها .

آهٍ .. إِنَّهُ سَيَذْكُرُ هٰذِهِ الطُّيورَ الرّائِعَةَ دائِمًا . وَلَمّا غابَتْ تِلْكَ الطُّيورُ عَنْ ناظِرَيْهِ وَاخْتَفَتْ في الأُفُقِ البَعيدِ ، سارَعَ فَرْخُ البَطِّ بِغَمْسِ رَأْسِهِ في ماءِ النَّهْرِ البارِدِ . لَمْ يَكُنْ يَعْرِفُ اسْمَ هٰذِهِ الطُّيورِ الجَميلَةِ ، وَلا المَكانَ الَّذي كانَتْ ذاهِبَةً إِلَيْهِ ، وَلٰكِنَّهُ أَحَبَّها بِشِدَّةٍ . وَلَمْ يَكُنْ فَرْخُ البَطِّ حينَئِذٍ يَتَطَلَّعُ إِلى أَنْ

يُصْبِحَ جميلًا كَتِلْكَ الطُّيورِ .

كُلُّ ما كانَ يَتَمَنّاهُ هُوَ أَنْ يَسْتَطيعَ العَيْشَ في سَلامٍ مَعَ البَطِّ الآخَرِ في الحَديقَةِ . وَلٰكِنَّ بُرودَةَ الجَوِّ زادَتْ زِيادَةً كَبيرَةً ، وَأَصْبَحَ مِنَ المُسْتَحيلِ عَلى فَرْخِ البَطِّ أَنْ يَظَلَّ في ماءِ النَّهْرِ المُثَلَّجِ . وَما إِنْ خَرَجَ مِنَ النَّهْرِ ، حَتّى سَقَطَ مَغْشِيًّا عَلَيْهِ عِنْدَ ضِفَّتِهِ .

وَفي الصَّباحِ أَتى رَجُلٌ فَقيرٌ إِلى ضِفَّةِ النَّهْرِ ، وَرَأى فَرْخَ البَطِّ مُلْقًى هُناكَ ، فَالْتَقَطَهُ مِنْ بَيْنِ الثُّلوجِ ، وَحَمَلَهُ مَعَهُ إِلى مَنْزِلِهِ . وَفَتَحَ فَرْخُ البَطِّ عَيْنَيْهِ ، وَأَرادَ أَطْفالُ الرَّجُلِ الفَقيرِ أَنْ يُلاعِبوهُ ، وَلٰكِنَّهُ جَرى مَذْعورًا ، وَقَفَزَ إِلى داخِلِ وِعاءٍ مَليءٍ بِاللَّبَنِ ، وَصاحَتْ زَوْجَةُ الرَّجُلِ الفَقيرِ في غَضَبٍ شَديدٍ . وَزادَ ذٰلِكَ مِنْ ذُعْرِ فَرْخِ البَطِّ ، فَانْدَفَعَ يَغوصُ بِرِجْلَيْهِ في أَطْباقِ الطَّعامِ ، ثُمَّ راحَ يَعْدو في مُخْتَلِفِ أَرْجاءِ المَنْزِلِ .

وَصاحَتِ المَرْأَةُ مَرَّةً أُخْرى وَضَرَبَتْهُ . وَجَرى الأَطْفالُ وَراءَهُ لِيُمْسِكوا بِهِ . وَكانَ بابُ البَيْتِ مَفْتوحًا ، فَخَرَجَ فَرْخُ البَطِّ القَبيحُ في الحالِ ، وَجَرى بَيْنَ الثُّلوجِ المُتَكاثِفَةِ في الخارِجِ .

هامَ فَرْخُ البَطِّ في الخَلاءِ المُوحِشِ البارِدِ ، وَلٰكِنَّ أَحَدًا لَمْ يَرْثِ لِحالِهِ أَوْ يُقَدِّمْ لَهُ أَيَّ عَوْنٍ . وَمَرَّتْ بِهِ أَوْقاتٌ مَريرَةٌ ، كادَ خِلالَها أَنْ يَدْفِنَ نَفْسَهُ في الثَّلْجِ لِيَموتَ . اسْتَطاعَ آخِرَ الأَمْرِ أَنْ يَجْتازَ تِلْكَ الأَيّامَ القاسِيَةَ دونَ أَنْ يَفْقِدَ الحَياةَ .. وَأَخيرًا أَشْرَقَتِ الشَّمْسُ وَمَلَأَتِ المَكانَ بِالدِّفْءِ .

كَبِرَ فَرْخُ البَطِّ ، وَنَما جِسْمُهُ . وَاسْتَيْقَظَ ذاتَ صَباحٍ لِيَجِدَ أَنَّ جَناحَيْهِ قَدِ اشْتَدّا وَأَنَّهُما يَقْوَيانِ عَلى حَمْلِهِ إِلى عُلُوٍّ شاهِقٍ . وَطارَ فَرْخُ البَطِّ عالِيًا في

السَّماءِ ثُمَّ هَبَطَ في حَديقَةٍ كَبيرَةٍ ، مَليئَةٍ بِالأَشْجارِ الجَميلَةِ . كانَ هُناكَ نَهْرٌ صَغيرٌ يَجْري قُرْبَ الأَشْجارِ ، وَكانَ كُلُّ شَيْءٍ مِنْ حَوْلِها رائِعًا جَميلًا .

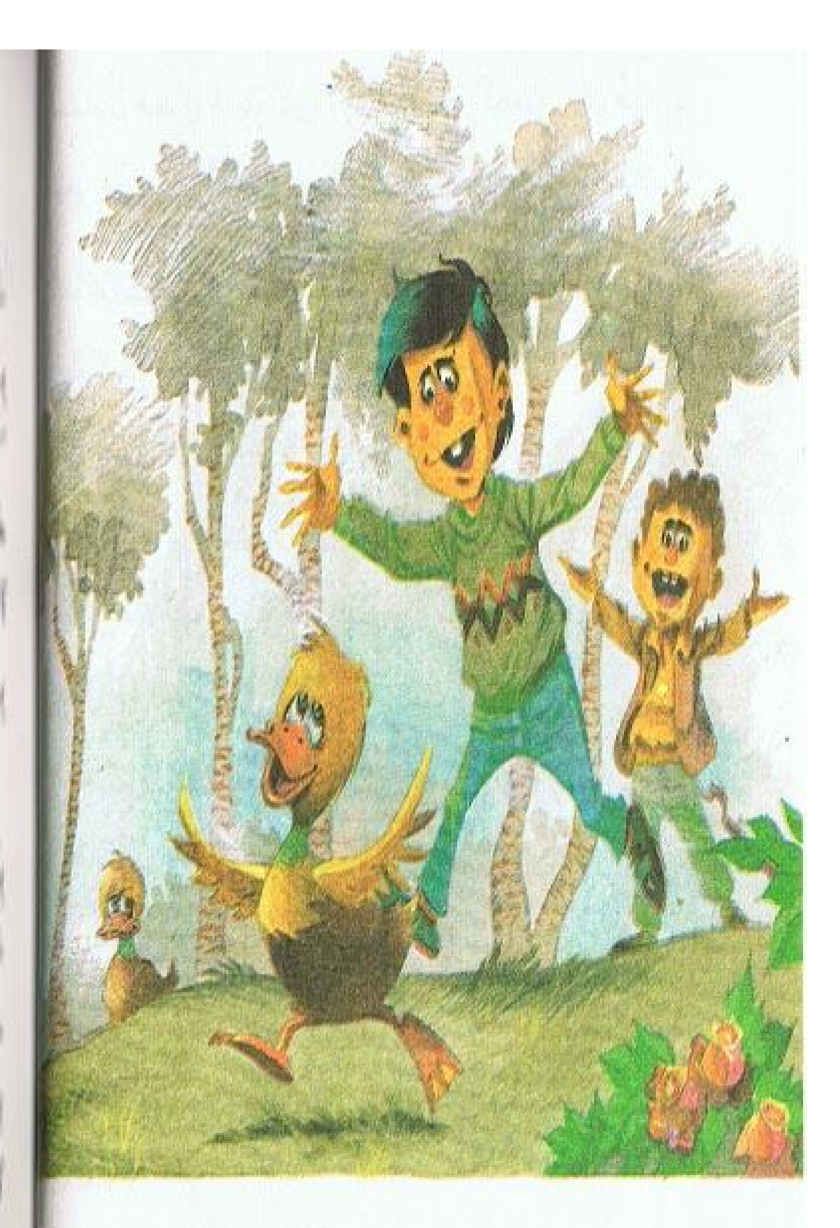
وَخَرَجَتْ مِنَ الغابَةِ ثَلاثُ وَزّاتٍ مِنْ نَوْعِ التَّمِّ البَديعِ ، وَنَزَلَتْ إِلى النَّهْرِ ، وَعامَتْ عَلى صَفْحَةِ الماءِ في شَكْلٍ ساحِرٍ جَذّابٍ . وَتَذَكَّرَ فَرْخُ البَطِّ أَنَّهُ رَأى تِلْكَ الطُّيورَ الجَميلَةَ السّاحِرَةَ مِنْ قَبْلُ .

وَانْجَذَبَ فَرْخُ البَطِّ مَرَّةً أُخْرى لِتِلْكَ الطُّيورِ ، وَقالَ : « لا بُدَّ أَنْ أَذْهَبَ الآنَ إِلى هٰذِهِ الطُّيورِ الفاتِنَةِ الَّتي خَلَبَتْ لُبّي وَسَلَبَتْ فُؤادي ، وَلَوْ فَتَكَتْ بي لِكَوْني قَبيحَ الشَّكْلِ . »

وَسَبَحَ فَرْخُ البَطِّ حَتّى لَحِقَ بِالطُّيورِ داخِلَ النَّهْرِ ، وَقالَ لَها : « اقْتُلوني إِذا ما رَغِبْتُمْ في ذٰلِكَ . » وَحَنى رَأْسَهُ بِالقُرْبِ مِنْ سَطْحِ الماءِ فَرَأى ، وَيا لَلْعَجَبِ ! رَأى جِسْمَهُ وَلَمْ يَكُنْ جِسْمَ بَطَّةٍ سَمينَةٍ قَبيحَةِ الشَّكْلِ ، كَما كانَ يَتَوَقَّعُ ، وَلٰكِنْ جِسْمَ تَمَّةٍ بارِعَةِ الحُسْنِ وَالجَمالِ ! ذٰلِكَ أَنَّ البَيْضَةَ الضَّخْمَةَ الَّتي خَرَجَ مِنْها مُنْذُ عِدَّةِ شُهورٍ ، كانَتْ بَيْضَةَ إِحْدى طُيورِ التَّمِّ الجَميلَةِ .

وَالْتَفَّتْ طُيورُ التَّمِّ حَوْلَ شَقيقِهِمُ الجَديدِ يُداعِبونَهُ في حُبٍّ وَحَنانٍ . وَكانَ هُناكَ عَدَدٌ مِنَ الأَطْفالِ يَلْهونَ في الحَديقَةِ ، وَيَرْمونَ بِقِطَعٍ مِنَ الخُبْزِ إِلى التَّمِّ السّابِحِ في الماءِ ، وَأَشارَ إِلَيْهِ طِفْلٌ صَغيرٌ قائِلًا : « ها هُوَ ذا طائِرُ تَمٍّ جَديدٌ يَظْهَرُ هُناكَ ! » فَرَدَّدَ سائِرُ الأَطْفالِ في مَرَحٍ وَسُرورٍ : « أَجَلْ ، لَقَدْ ظَهَرَ هُناكَ طائِرُ تَمٍّ جَديدٌ ! »

وَتَطَلَّعوا إِلَيْهِ بُرْهَةً ، ثُمَّ صاحوا في انْبِهارٍ شَديدٍ : « إِنَّهُ تَمٌّ صَغيرٌ بالِغُ



الرَّوْعةِ ! إنَّهُ أَجْمَلُ وَأَفْتَنُ طُيورِ التَّمِّ هٰذِهِ على الإطْلاقِ ! »

وَابْتَهَجَ التَّمُّ الصَّغيرُ لِذٰلِكَ ، وَغَمَرَتْهُ سَعادةٌ كُبْرى . لَقَدْ تَذَكَّرَ كَيْفَ أَنَّ أَحَدًا لَمْ يَكُنْ يُحِبُّهُ مِنْ قَبْلُ . أَمَّا الآنَ ، فَالأَطْفالُ يَقولونَ إنَّهُ أَجْملُ وَأَفْتَنُ هٰذِهِ الطُّيورِ السَّاحِرةِ .

وَقالَ في فَرَحٍ : « لَمْ أَكُنْ أَظُنُّ أَبَدًا أَنَّني سَأَكونُ يَوْمًا ما سَعيدًا هٰكَذا ! »

العَنْدَليبُ

في قَديمِ الزَّمانِ ، كانَ هُناكَ مَلِكٌ عَظيمٌ يَسْكُنُ مَدينةً جَميلةً ، وَيَمْتَلِكُ حَديقةً كَبيرةً حافِلةً بِالأَزْهارِ النَّاضِرةِ . كانَ المَلِكُ يُعَلِّقُ جَرَسًا فِضِّيًّا صَغيرًا بِكُلِّ زَهْرةٍ مِنْ أَزْهارِ الحَديقةِ ، وَكانَ النَّاسُ يَسْمَعونَ رَنينَ هٰذِهِ الأَجْراسِ ، كُلَّما هَبَّتِ الرِّيحُ ، فَيَتَطَلَّعونَ إلى الأَزْهارِ الرَّائِعةِ في إعْجابٍ وَسُرورٍ . كانَتْ هٰذِهِ الحَديقةُ مِنَ السَّعةِ وَالضَّخامةِ ، بِحَيْثُ كانَ البُسْتانيُّ يَجْهَلُ مِساحَتَها الحَقيقيَّةَ . وَكانَتْ تُؤَدّي بِالسَّائِرينَ فيها إلى غابةٍ جَميلةٍ ، لا تَلْبَثُ أَنْ تَنْتَهيَ بِهِمْ إلى بَحْرٍ هائِلٍ .

كانَتْ أَمْواجُ البَحْرِ تَصِلُ إلى أَطْرافِ الغابةِ ، كَما كانَتِ السُّفُنُ تَمُرُّ بِالقُرْبِ مِنْ أَشْجارِها الضَّخْمةِ . وَكانَ يَعيشُ فَوْقَ إحْدى هٰذِهِ الأَشْجارِ عَنْدَليبٌ صَغيرٌ ، عَذْبُ الصَّوْتِ ، اِعْتادَ أَنْ يُغَرِّدَ فَوْقَ الشَّجَرةِ تَغْريدًا حُلْوًا شَجِيًّا . وَاسْتَرْعى تَغْريدُهُ انْتِباهَ صَيَّادِ سَمَكٍ فَقيرٍ ، فَكانَ يَأْتي كُلَّ يَوْمٍ إلى تِلْكَ الشَّجَرةِ القَريبةِ مِنَ الشَّاطِئِ وَيَجْلِسُ تَحْتَها مُتَلَهِّفًا إلى سَماعِ تَغْريدِهِ الشَّجِيِّ .



كانَ ٱلنّاسُ يأْتونَ مِنْ مُخْتَلِفِ ٱلْبِلادِ إلى هٰذِهِ ٱلْمَدينَةِ ، وَيُعْرِبونَ لِمَلِكِها ٱلْعَظيمِ عَنْ إعجابِهِمُ ٱلشَّديدِ بِمَدينَتِهِ الجَميلَةِ ، وَقَصْرِهِ ٱلْمُنيفِ ، وَحَديقَتِهِ ٱلْواسِعَةِ ٱلْغَنّاءِ . غَيْرَ أَنَّ ٱلْعَنْدَليبَ كانَ يَبْهَرُهُمْ أَكْثَرَ مِنْ كُلِّ هٰذِهِ ٱلأَشْياءِ بِصَوْتِهِ ٱلشَّجِيِّ ، فَكانوا يَصيحونَ ، كُلَّما ٱسْتَمَعوا إلى تَغْريدِهِ ٱلْعَذْبِ ، قائِلينَ : « لَيْسَ هُناكَ أَرْوَعُ مِنْ هٰذا ٱلْعَنْدَليبِ عَلى ٱلإِطْلاقِ . » ثُمَّ يَسْتَمِرّونَ في ٱلْحَديثِ عَنْهُ لِفَتْرَةٍ طَويلَةٍ بَعْدَ ذٰلِكَ . وَكانَ ٱلأُدَباءُ ، ٱلَّذينَ يُؤَلِّفونَ ٱلْكُتُبَ في وَصْفِ مَدينَةِ ٱلْمَلِكِ وَقَصْرِهِ وَحَديقَتِهِ ، يُخَصِّصونَ صَفَحاتٍ كَثيرَةً مِنْها لِلتَّحَدُّثِ عَنْ ذٰلِكَ ٱلْعَنْدَليبِ ٱلْعَجيبِ ، وَٱلتَّغَنّي بِسِحْرِ شَدْوِهِ ، وَرَوْعَةِ غِنائِهِ .

كانَ ٱلنّاسُ مِنْ مُخْتَلِفِ ٱلأَقْطارِ يَقْرَأُونَ هٰذِهِ ٱلْكُتُبَ . وَوَقَعَ نَظَرُ ٱلْمَلِكِ ذاتَ يَوْمٍ عَلى أَحَدِها ، فَأَخَذَ في قِراءَتِهِ . وَقَرَأَ ٱلْمَلِكُ عِدَّةَ صَفَحاتٍ مِنَ ٱلْكِتابِ ، وَسُرَّ بِكُلِّ ما جاءَ بِهِ مِنْ أَوْصافٍ عَنْ حَديقَتِهِ وَقَصْرِهِ . وَلَمْ يَلْبَثْ أَنْ طالَعَتْهُ هٰذِهِ ٱلْعِبارَةُ : « وَلٰكِنَّنا لَمْ نَرَ لَدى ٱلْمَلِكِ شَيْئًا أَفْتَنَ وَأَرْوَعَ مِنَ ٱلْعَنْدَليبِ . »

وَهُنا صاحَ ٱلْمَلِكُ مُتَعَجِّبًا : « ما هٰذا ٱلْكَلامُ ؟ ٱلْعَنْدَليبُ ! أَنا لَمْ أَرَهُ وَلَمْ أَسْمَعْ بِهِ مِنْ قَبْلُ ! أَمِنَ ٱلْمُمْكِنِ أَنْ يَكونَ في مَمْلَكَتي ـ بَلْ في حَديقَتي ٱلْخاصَّةِ ـ مِثْلُ هٰذا ٱلطّائِرِ ٱلْعَجيبِ ، دونَ أَنْ أَعْلَمَ شَيْئًا عَنْهُ ؟ »

ٱسْتَدْعى ٱلْمَلِكُ رَئيسَ ٱلْخَدَمِ ، وَكانَ رَجُلًا ذا زَهْوٍ وَكِبْرِياءَ يَبْعَثانِ عَلى ٱلضَّحِكِ . وَكانَ يَرْفُضُ أَنْ يَتَلَقّى أَمْرًا مِنْ أَيِّ شَخْصٍ دونَ ٱلْمَلِكِ ، وَكانَ إذا بادَرَهُ أَحَدٌ بِسُؤالٍ ، نَظَرَ إِلَيْهِ في ٱسْتِخْفافٍ ، وَمَضى مُتَأَفِّفًا دونَ أَنْ يُجيبَهُ بِشَيْءٍ .

قالَ ٱلْمَلِكُ لِرَئيسِ ٱلْخَدَمِ : « يَقولُ ٱلنّاسُ إِنَّ عَنْدَليبًا ساحِرَ ٱلْغِناءِ يَعيشُ في

مَدينَتي ، وَإِنَّهُ يَخْلُبُ أَلْبابَ ٱلسّامِعينَ بِشَدْوِهِ ٱلشَّجِيِّ ٱلْمُمْتِعِ . لِماذا لَمْ يُخْبِرْني أَحَدٌ مِنْ قَبْلُ بِنَبَإِ هٰذا ٱلطّائِرِ ٱلْعَجيبِ ؟ »

أَجابَ رَئيسُ ٱلْخَدَمِ ، مُحاوِلًا أَنْ يُؤَكِّدَ أَهَمِّيَّةَ مَرْكَزِهِ في ٱلْقَصْرِ : « أَنا لَمْ أَسْمَعْ بِهِ إِطْلاقًا ، يامَوْلايَ ، كَما أَنَّ أَحَدًا مِنَ ٱلْخَدَمِ لَمْ يُحْضِرْهُ لِمُقابَلَتي . »

قالَ ٱلْمَلِكُ في حِدَّةٍ وَإِصْرارٍ : « أُريدُ أَنْ يَأْتِيَ هٰذا ٱلْعَنْدَليبُ لِيُغَرِّدَ لي ٱللَّيْلَةَ . »

فَأَجابَ رَئيسُ ٱلْخَدَمِ في ٱرْتِباكٍ : « أَنا لَمْ أَسْمَعْ بِهٰذا ٱلْعَنْدَليبِ أَبَدًا قَبْلَ ٱلآنَ ، وَسَأَبْدَأُ ٱلْبَحْثَ عَنْهُ عَلى ٱلْفَوْرِ . »

وَلٰكِنْ أَيْنَ يَتَسَنّى لِرَئيسِ ٱلْخَدَمِ أَنْ يَجِدَ ٱلْعَنْدَليبَ ؟ لَقَدْ جَرى هُنا وَهُناكَ ، وَٱسْتَعانَ بِمَرْؤوسيهِ مِنَ ٱلْخَدَمِ ، دونَ جَدْوى . وَعادَ ٱلرَّجُلُ إِلى ٱلْمَلِكِ يَجُرُّ أَذْيالَ ٱلْخَيْبَةِ ، وَيَعْتَذِرُ عَنْ عَدَمِ عُثورِهِ عَلى ٱلطّائِرِ ٱلْمَنْشودِ .

وَلٰكِنَّ ٱلْمَلِكَ ثارَ في وَجْهِهِ قائِلًا : « لَقَدْ قَرَأْتُ هٰذا ٱلْكِتابَ ٱلَّذي يَتَحَدَّثُ عَنِ ٱلْعَنْدَليبِ وَيُفيضُ في وَصْفِ جَمالِهِ وَرَوْعَةِ تَغْريدِهِ . إِذًا لا بُدَّ أَنَّ هٰذا ٱلطّائِرَ مَوْجودٌ هُنا في ٱلْقَصْرِ أَوْ في ٱلْحَديقَةِ ... إِنَّني أُريدُ أَنْ أَسْتَمِعَ ٱللَّيْلَةَ إِلى تَغْريدِهِ ، وَعَلَيْكَ أَنْ تَأْتِيَ بِهِ مَهْما كَلَّفَكَ ٱلأَمْرُ . »

حاوَلَ رَئيسُ ٱلْخَدَمِ إِخْفاءَ ضيقِهِ ٱلشَّديدِ ، وَهَرْوَلَ خارِجًا مِنَ ٱلْحُجْرَةِ . وَأَسْرَعَ يَبْحَثُ عَنِ ٱلْعَنْدَليبِ مَرَّةً أُخْرى في جَميعِ غُرَفِ ٱلْقَصْرِ ، وَشارَكَهُ سائِرُ ٱلْخَدَمِ في ذٰلِكَ ، فَقَدْ كانوا جَميعًا يَخْشَوْنَ غَضَبَ ٱلْمَلِكِ .

أخيرًا ٱلتقوا بفتاةٍ صغيرةٍ كانتْ تعملُ مُساعدةً لِطاهي ٱلقصرِ ، وسألوها : « هلْ رأيتِ ٱلعندليبَ ؟ »

أجابتِ ٱلفتاةُ : « أتقصدونَ ذلكَ ٱلطائرَ ٱلَّذي يصدحُ في ٱلغابةِ قُربَ ٱلبحرِ ؟ أجلْ رأيتُهُ ، وأعرفُهُ جيِّدًا . آهٍ ، يا لَروعةِ غنائِهِ ٱلسَّاحرِ ! إنَّني أذهبُ كلَّ يومٍ لزيارةِ والدتي ٱلمريضةِ ٱلفقيرةِ ٱلَّتي تسكنُ قُربَ ٱلبحرِ ، حاملةً إليها ٱلطَّعامَ ، وفي طريقِ عودتي إلى ٱلقصرِ كلَّ مساءٍ ، أجلسُ في ٱلغابةِ بعضَ ٱلوقتِ ، فيترامى إلى سمعي شَدْوُهُ ٱلشَّجيُّ . آهٍ لوْ تُحِسُّونَ عُذوبةَ هذا ٱلشَّدْوِ ورقَّتِهِ ! إنَّ ٱلدُّموعَ تنهمِرُ على وجنتيَّ عندَ سماعِهِ ، وكأنَّ أمي ٱلمسكينةَ تضمُّني إلى صدرِها ٱلضَّعيفِ ، وتُقبِّلُني في شغفٍ وحنانٍ ! »

صاحَ رئيسُ ٱلخدمِ : « أيَّتُها ٱلفتاةُ ٱلصَّغيرةُ ، خُذينا على ٱلفورِ إلى هذا ٱلطَّائرِ ٱلعزيزِ . »

وسارَ ٱلجميعُ إلى ٱلغابةِ لإحضارِ ٱلعندليبِ ، وكانَ مِنْ بينِهِمْ رجالٌ مِنْ حاشيةِ ٱلملكِ . وسمِعوا ، وهُمْ يسيرونَ على ٱلطَّريقِ ، خُوارَ بقرةٍ .

صاحَ ٱلخدمُ ورجالُ ٱلحاشيةِ معًا : « لقدْ وجدْنا ٱلعندليبَ ! ها هُوَ ذا يصدحُ بأغنيةٍ رائعةٍ ، يبدو أنَّنا قدْ سمِعْنا هذا ٱللَّحنَ مِنْ قبلُ في مكانٍ ما . »

قالتِ ٱلفتاةُ ٱلصَّغيرةُ : « كلَّا ياسادةُ ! إنَّ ما تسمعونَ هُوَ صوتُ بقرةٍ . نحنُ ما زِلنا بعيدينَ عنْ مكانِ ٱلعندليبِ . »

وواصلوا ٱلسَّيرَ في ٱلحديقةِ ٱلواسعةِ إلى أنْ أتَوْا إلى نهرٍ صغيرٍ ، تنقُّ ٱلضَّفادعُ على ضفَّتِهِ .

صاحَ أحدُ ٱلخدمِ قائلًا : « لقدْ سمِعْتُ ٱلآنَ صوتَ ٱلعندليبِ ٱلسَّاحرِ . إنَّهُ يُشبِهُ تمامًا رنينَ ٱلأجراسِ ٱلمُعلَّقةِ بٱلأزهارِ . »

أجابتِ ٱلفتاةُ : « كلَّا ، لقدْ سمِعْتَ نقيقَ ٱلضَّفادعِ ، لا غناءَ ٱلعندليبِ . وأظنُّ أنَّنا قدْ أوشكْنا على ٱلاقترابِ منْهُ ، وسماعِ تغريدِهِ ٱلرَّائعِ ٱلبديعِ . »

واستأنفوا ٱلسَّيرَ ، وترامى إلى آذانِهِمْ صوتُ غناءٍ جميلٍ فأشارتِ ٱلفتاةُ إلى طائرٍ صغيرٍ يجثُمُ فوقَ إحدى ٱلأشجارِ ، قائلةً : « ها هُوَ ذا ٱلعندليبُ ٱلصَّدَّاحُ ! »

وتطلَّعَ رئيسُ ٱلخدمِ إلى ٱلطَّائرِ ، ثُمَّ صاحَ في دهشةٍ قائلًا : « كيفَ يكونُ هذا ٱلطَّائرُ هُوَ ٱلعندليبَ ٱلسَّاحرَ ؟ إنَّهُ ليسَ أجملَ ٱلطُّيورِ ٱلَّتي في ٱلحديقةِ . إنَّهُ طائرٌ عاديٌّ مِثلُ سائرِ ٱلطُّيورِ . »

عندئذٍ نادتِ ٱلفتاةُ ٱلطَّائرَ في رقَّةٍ قائلةً : « أيُّها ٱلعندليبُ ٱلصَّغيرُ ! إنَّ ملِكَنا يُريدُكَ أنْ تُغرِّدَ لهُ ٱللَّيلةَ . »

أجابَ ٱلعندليبُ : « إنَّهُ ليُسعِدُني جدًّا أنْ أُغرِّدَ لمولانا . » وشرعَ يشدو في صوتٍ شجيٍّ أطربَ كلَّ ٱلواقفينَ تحتَ ٱلشَّجرةِ .

وهُنا قالَ رئيسُ ٱلخدمِ : « إنَّ صوتَهُ حُلوٌ كرنينِ ٱلأجراسِ ٱلزُّجاجيَّةِ .. كيفَ لمْ نسمعْهُ قبلَ ٱلآنَ ؟ إنَّ غناءَهُ سيبعثُ ٱلسُّرورَ في قلبِ ٱلملكِ ، وقلوبِ أصدقائِهِ مِنْ رجالِ ٱلحاشيةِ . »

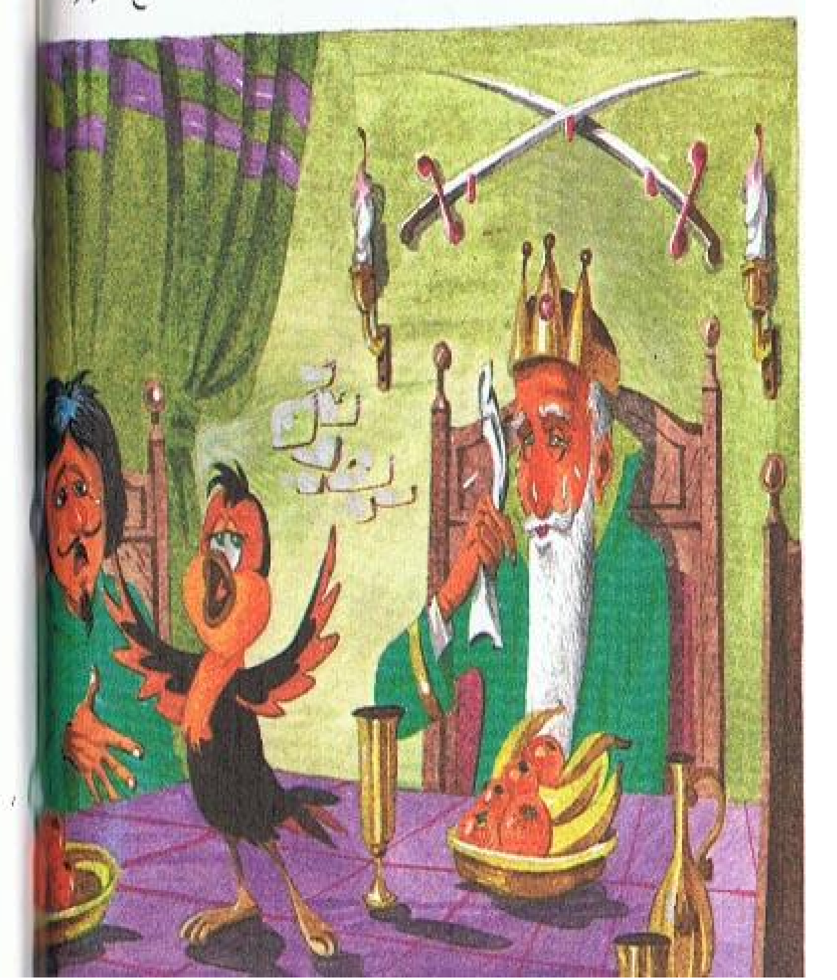
سألَ ٱلطَّائرُ ٱلصَّغيرُ ٱلَّذي ظنَّ أنَّ ٱلملكَ موجودٌ بينَ ٱلواقفينَ : « هلْ أُغرِّدُ ثانيةً لمولانا ٱلملكِ ؟ »

فرَدَّ رئيسُ الخدمِ قائلًا: «أيها الطائرُ الصغيرُ الجميلُ، إنَّ الملكَ ينتظرُكَ الآنَ في القصرِ، فهيَّا معنا لتغرِّدَ لهُ الليلةَ هناكَ، وتبعثَ البهجةَ في قلبِه وقلوبِ أصدقائِه.»

قالَ العندليبُ: «إنني أغرِّدُ فوقَ الأشجارِ الخضراءِ، تحتَ قبةِ السماءِ الصافيةِ الزرقاءِ، ولستُ أدري هلْ أستطيعُ الشدوَ داخلَ أحدِ المنازلِ؟» ولكنَّهُ قبِلَ الذهابَ إلى القصرِ استجابةً لرغبةِ الملكِ.

كانَ الملكُ جالسًا في قاعةٍ فخمةٍ، تتوسَّطُها منضدةٌ ذهبيةٌ، وقفَ فوقَها العندليبُ. واجتمعَ خدمُ الملكِ وأصدقاؤُهُ داخلَ القاعةِ، وقدِ ارتدَوْا أبهى ملابسِهِمْ، في انتظارِ أنْ يبدأَ العندليبُ الغناءَ.

وغنَّى العندليبُ الصغيرُ أغنياتٍ حلوةً رقيقةً، سالَ لها دمعُ الملكِ



العظيمِ، وانهمرتِ الدموعُ منْ عيونِ سائرِ الحاضرينَ. ولمَّا تملَّكتِ الملكَ نشوةُ الطربِ، صاحَ قائلًا للعندليبِ:

«أيها الطائرُ الصغيرُ الرائعُ، سوفَ أمنحُكَ حذاءً ذهبيًّا، تكريمًا لكَ.»

غيرَ أنَّ العندليبَ شكرَ الملكَ، قائلًا: «أنا لا أريدُ شيئًا يا مولايَ، ويكفيني جزاءً وفخرًا أنني استطعتُ استدرارَ الدمعِ منْ عينَيْ جلالتِكَ»، ومضى في غنائِه البديعِ.

عندئذٍ قالَ الملكُ للعندليبِ: «أرجوكَ أنْ تبقى في القصرِ. وسوفَ أسمحُ لكَ بالخروجِ إلى الغابةِ مرَّتينِ في النهارِ، ومرَّةً أثناءَ الليلِ.»

ووضعَ الملكُ خدمًا كثيرينَ في خدمةِ العندليبِ الصغيرِ، وكانوا يرافقونَهُ أينما ذهبَ.

وأصبحَ ذكرُ العندليبِ على ألسنةِ كلِّ الناسِ في المدينةِ. وقالَ البعضُ: «يا لجمالِهِ الرائعِ!»، وقالَ البعضُ الآخرُ: «يا لسحرِ تغريدِه!»

ذاتَ يومٍ، أحضرَ أحدُ الأشخاصِ صندوقًا كبيرًا للملكِ، فظنَّ الملكُ أنَّ بداخلِه كتابًا. فقالَ الملكُ لنفسِه: ها هُوَ ذا كتابٌ آخرُ جديدٌ عنْ عندليبِنا الساحرِ.

ولكنَّ الصندوقَ لمْ يكنْ يحوي كتابًا، بلْ عندليبًا آخرَ! لمْ يكنْ عندليبُ الصندوقِ طائرًا حيًّا كعندليبِ الغابةِ، وإنَّما كانَ طائرًا مصنوعًا منَ المعدنِ. لا يتناولُ طعامًا ولا شرابًا، ولا يستطيعُ التحليقَ أوِ الطيرانَ، غيرَ

أَنَّهُ كانَ أَجْمَلَ مِنْ عَنْدَليبِ الغابَةِ في الشَّكْلِ ، وَكانَ جِسْمُهُ مُرَصَّعًا بِالجَواهِرِ ، وَكانَ يَسْتَطيعُ التَّغْريدَ .

وَنَظَرَ المَلِكُ إِلى العَنْدَليبِ المَعْدِنيِّ وَقالَ : « أُريدُ أَنْ أَسْتَمِعَ إِلى غِناءِ هٰذا

العَنْدَليبِ الجَديدِ . » فَأَدارَ أَحَدُهُمْ مِفْتاحًا في الجِسْمِ المَعْدِنيِّ ، فَشَرَعَ العَنْدَليبُ في الغِناءِ ، غَيْرَ أَنَّهُ أَخَذَ يُكَرِّرُ نَفْسَ اللَّحْنِ ، دونَ أَنْ يُغَنِّيَ لَحْنًا سِواهُ . وَأَرادَ المَلِكُ أَنْ يَسْتَمِعَ إِلى عَنْدَليبِهِ الحَيِّ مَرَّةً أُخْرى ، وَلٰكِنَّهُ كانَ قَدْ طارَ مِنَ النّافِذَةِ المَفْتوحَةِ ، عائِدًا إِلى الغابَةِ !

وَتَساءَلَ المَلِكُ في غَضَبٍ عَمّا دَعا العَنْدَليبَ الحَيَّ إِلى ذٰلِكَ . وَأَخَذَ الخَدَمُ يَذُمّونَهُ ، وَيَرْمونَهُ بِأَقْبَحِ الصِّفاتِ .

قالَ رِجالُ الحاشِيَةِ : « لَيْسَ العَنْدَليبُ الحَيُّ مِثْلَ هٰذا العَنْدَليبِ الجَديدِ الَّذي يَسْتَجيبُ بِالغِناءِ في أَيِّ وَقْتٍ نَشاءُ ، وَالَّذي يُغَنّي لَنا كُلَّ مَرَّةٍ بِنَفْسِ الطَّريقَةِ . »

وَوافَقَ الخَدَمُ جَميعًا عَلى هٰذا القَوْلِ ، وَتَبِعَهُمْ في ذٰلِكَ أَهالي المَدينَةِ ، فَكانوا يَتَصايَحونَ إِعْجابًا كُلَّما اسْتَمَعوا إِلى الطّائِرِ الجَديدِ .

لٰكِنَّ صَيّادَ السَّمَكِ الفَقيرَ كانَ قَدِ اسْتَمَعَ كَثيرًا إِلى شَدْوِ العَنْدَليبِ في الغابَةِ ، فَلَمْ يُوافِقْهُمْ عَلى رَأْيِهِمْ ، وَصارَحَهُمْ في جُرْأَةٍ قائِلًا : « العَنْدَليبُ الجَديدُ يَشْدو شَدْوًا عَذْبًا ، لٰكِنَّ عَنْدَليبَ الغابَةِ الصَّغيرَ أَعْذَبُ شَدْوًا . إِنَّ شَدْوَ عَنْدَليبِ الغابَةِ يُطْرِبُني وَيَحْمِلُني عَلى أَجْنِحَةِ النَّشْوَةِ وَالسَّعادَةِ . »

أَمّا العَنْدَليبُ الجَديدُ فَقَدْ وَضَعوهُ عَلى مِنْضَدَةٍ قُرْبَ سَريرِ المَلِكِ . وَأَتى النّاسُ لَهُ بِهَدايا كَثيرَةٍ مِنَ الذَّهَبِ وَالجَواهِرِ ، وَوَضَعوها عَلى المِنْضَدَةِ إِلى جِوارِهِ .

وَكَتَبَ المُؤَلِّفونَ كُتُبًا مُطَوَّلَةً عَنِ العَنْدَليبِ الجَديدِ . وَمَعَ أَنَّ كَثيرينَ مِنَ النّاسِ لَمْ يَقْرَأُوا هٰذِهِ الكُتُبَ ، فَإِنَّهُمْ ادَّعَوْا أَنَّهُمْ أُعْجِبوا بِها أَشَدَّ الإِعْجابِ .

واستمر الحال هكذا عامًا . وحفظ الملك وحاشيته وكل سكان المدينة نغمات الأغنية التي يغنيها العندليب الجديد ، فقد كان يغني دائمًا نفس الأغنية ، وبنفس الطريقة ، ولم يكن في استطاعته أن يغير الأغنية أو اللحن ، فقد كان طائرًا لعبة ، لا طائرًا طبيعيًا حيًا . غير أن الناس قد سُرّوا بذلك الطائر المعدني ، لأنهم استطاعوا ترديد الأغنية معه ، وأصبح الأطفال في الشوارع ، بل الملك ذاته يردد نغمات تلك الأغنية في مختلف المناسبات .

ولكن ذات ليلة ، دوّى صوت مفاجئ داخل هذا العندليب ، أعقبه سقوط شيء ما . وتوقف العندليب بعد ذلك عن الغناء .

وقفز الملك بسرعة من فراشه ، واستدعى رجال الحاشية وعظماء المملكة ، غير أنهم حاروا في الأمر . ثم أرسل الملك في طلب رجل يعرف كيف صُنع هذا العندليب .

وفتح الرجل العندليب ، ونظر في داخله ، ثم أعاد تركيب أجزاء الجسم إلى ما كانت عليه . لكنه لم يلبث أن قال : « يجب ألّا يغني هذا الطائر كثيرًا بعد الآن . يمكن أن يغني مرة واحدة فقط كل عام . »

ابتأس جميع الناس لهذا النبأ ، لكن واحدًا من حاشية الملك قال : « إن العندليب على خير ما يرام . » فردد باقي رجال الحاشية القول نفسه كالببغاوات !

بعد خمس سنوات ، مرض الملك ، وقال الأطباء إنه لن يعيش طويلًا . وتهيأ ملك جديد لتولي العرش من بعده . وكان الناس يتجمعون عند بوابة القصر ، ويسألون رئيس الخدم عن صحة الملك ، غير أنه كان يهز كتفيه في

استعلاء ، دون أن يجيبهم بشيء .

رقد الملك شاحب الوجه في سريره الفخم . وظن الكثيرون من رجال الحاشية أنه قد مات ، فتركوه ومضوا لرؤية الملك الجديد .

وبالقرب من فراش الملك كانت هناك نافذة مفتوحة ، كان الملك يتطلع منها إلى الأفق البعيد .

اشتد المرض على الملك ، وأحس أن نهايته قد اقتربت . أخذ يسترجع بفكره كل ما فعل في حياته من خير ، ومن شر . ولم يلبث أن صاح قائلًا :

« سوف أستمع إلى شيء من الغناء ، لأطرد هذه الأفكار الحزينة بعيدًا عني . أيها العندليب الصغير ، أمتعني بغنائك الجميل ! غرّد لي ! أرجوك ! »

غير أن العندليب خرس عن الغناء ، ورجاه الملك ثانية أن يغرد – مذكرًا إياه بما قدم له من ذهب وجواهر – ولكن العندليب ظل على حاله من الصمت التام ، لأنه أصبح مجرد لعبة معدنية تالفة . كما أنه لم يكن – يومًا – طائرًا حيًا تجري في عروقه الدماء .

وتأوّه الملك قائلًا : « سوف أموت بعد لحظات ! »

عندئذ ترامى إلى أذنيه تغريد شجي عبر النافذة . والتفت الملك فإذا أمامه العندليب الصغير الذي يعيش في الغابة . كان العندليب واقفًا على الشجرة بالقرب من النافذة ، وكان قد علم بمرض الملك الشديد ، فأتى ليغرد له .

غرّد العندليب الصغير ، وأطال التغريد . غرّد للورود البيضاء الجميلة ،

وَالأزهارِ النّاضِرةِ الفوّاحةِ بالعطرِ . وَغَرَّدَ للغابةِ الفسيحةِ الرّائعةِ ، وَالحقولِ المُزهِرةِ . وَابتهجتْ نَفسُ المَلِكِ كثيرًا بِذلكَ التَّغريدِ ، فَأَخذَ يَتماثَلُ لِلشِّفاءِ .

قالَ المَلِكُ لِلعَندَليبِ : « ياطائِري العَزيزَ ، أَشكُرُكَ مِنْ كُلِّ قَلبي . إنَّني أَعرِفُكَ جَيِّدًا أَيُّها الطّائِرُ الصَّغيرُ الجميلُ . لَقَدْ دَفَعْتُكَ – بِقَسْوَتي – ذاتَ يَوْمٍ إلى الهَرَبِ مِنْ قَصْري وَمِنْ مَمْلَكَتي . وَلٰكِنْ ها أَنْتَ ذا تَعودُ اليَوْمَ لِكَيْ تُنقِذَ حَياتي . لَنْ أَموتَ الآنَ لِأَنّي سَمِعْتُكَ تُغَرِّدُ مَرَّةً أُخرى . ماذا أَستَطيعُ أَنْ أُقَدِّمَ لَكَ ، ياعَندَليبي العَزيزَ ؟ »

أَجابَ العَندَليبُ : « لا شَيْءَ مُطلَقًا يامَوْلايَ ، فَلَقَدْ سَبَقَ أَنْ مَنَحْتَني كَثيرًا . أَتَذكُرُ ، ياصاحِبَ الجَلالَةِ ، حينَ غَرَّدْتُ لَكَ لِأَوَّلِ مَرَّةٍ ؟ لَقَدْ رَأَيتُ الدُّموعَ تَنْسابُ مِنْ عَيْنَيْكَ ، وَأَنا أَشعُرُ بِسَعادَةٍ عَظيمَةٍ كُلَّما تَذَكَّرْتُ تِلكَ اللَّحظَةَ . وَلٰكِنْ هَيّا الآنَ لِلنَّوْمِ . سَأَظَلُّ أُغَرِّدُ لَكَ إلى أَنْ تُسلِمَ جَفْنَيْكَ لِلنُّعاسِ . »



وَغَرَّدَ العَندَليبُ أُغنِيَةَ النَّوْمِ . وَأَغمَضَ المَلِكُ عَيْنَيْهِ ، ثُمَّ راحَ في سُباتٍ عَميقٍ . وَلَمّا استَيقَظَ في الصَّباحِ ، رَأى الشَّمسَ ساطِعَةً في السَّماءِ وَلٰكِنَّهُ لَمْ يَرَ أَحَدًا في القَصرِ . كانَ الخَدَمُ وَرِجالُ الحاشِيَةِ قَدْ غادَروهُ جَميعًا ، ظَنًّا مِنهُمْ أَنَّ المَلِكَ قَدْ ماتَ .

وَلٰكِنَّ العَندَليبَ الصَّغيرَ كانَ لا يَزالُ واقِفًا في مَكانِهِ مِنَ الشَّجَرَةِ يَشْدو بِأُغْنِيَّةِ الصَّباحِ .

قالَ المَلِكُ لِلعَندَليبِ في حُبٍّ وَحَنانٍ : « سَوْفَ تَبْقى مَعي عَلى الدَّوامِ ، ياعَندَليبيَ العَزيزَ . سَوْفَ أَطلُبُ مِنكَ أَنْ تُغَرِّدَ ، وَلٰكِنْ عِندَما يَروقُ لَكَ فَحَسْبُ . وَسَوْفَ أَرْمي الآنَ بَعيدًا بِهٰذا الطّائِرِ المَعدِنيِّ الأَخرَسِ . »

أَجابَ العَندَليبُ : « لا تَفعَلْ ذٰلِكَ يامَوْلايَ ! فَلَقَدْ أَدّى هٰذا الطّائِرُ دَوْرَهُ قَدْرَ ما استَطاعَ . إنَّهُ لَمْ يُخلَقْ لِلتَّغريدِ كَما خُلِقْتُ . وَلٰكِنّي لَنْ أَستَطيعَ العَيْشَ داخِلَ القَصرِ ، وَسَأُسرِعُ إلَيْكَ كُلَّما شَعَرْتُ بِأَنَّكَ في حاجَةٍ إلَيَّ . حينَئِذٍ سَوْفَ آتي في الحالِ ، وَأَقِفُ عَلى هٰذِهِ الشَّجَرَةِ قُربَ النّافِذَةِ ، لِأَشْدوَ لَكَ بِأَرْوَعِ الغِناءِ ، وَأَحمِلَكَ إلى عالَمِ البَهجَةِ وَالهَناءِ . » وَطارَ العَندَليبُ بَعيدًا .

جاءَ رِجالُ الحاشِيَةِ وَالخَدَمُ ، لِيُلقوا النَّظرَةَ الأَخيرَةَ عَلى جُثمانِ مَلِكِهِمُ الَّذي ظَنّوا أَنَّهُ قَدْ ماتَ . وَلٰكِنْ ما إنِ اصطَفّوا حَوْلَ فِراشِهِ ، حَتّى رَفَعَ المَلِكُ رَأسَهُ عَنِ الوِسادَةِ ، وَنَظَرَ إلَيهِمْ في سُخْطٍ وَازدِراءٍ ، ثُمَّ قالَ في نَبرَةٍ تَفيضُ بِالسُّخرِيَةِ : « طابَ صَباحُكُمْ ياسادَةُ ! »

عَروسُ البَحْرِ

لَوْ أَنَّكَ تَوَغَّلْتَ بَعيدًا في البَحْرِ حَتَّى تَصِلَ إلى المِياهِ الصَّافيةِ الشَّديدةِ الزُّرْقةِ ، الَّتي تَعْكِسُ صُورةَ وَجْهِكَ واضِحةً كَمِرْآةٍ مِنَ البَلُّورِ النَّقِيِّ ، ثُمَّ هَبَطْتَ مِنْ ذٰلِكَ المَوْضِعِ رُوَيْدًا رُوَيْدًا إلى أَعْماقِ البَحْرِ حَتَّى تَصِلَ إلى قاعِهِ السَّحيقِ ، لَوَجَدْتَ في ذٰلِكَ القاعِ أَشْجارًا وَنَباتاتٍ جَميلةً وَمُتَنَوِّعَةً ، لا تَراها عَيْنُ المَرْءِ الَّذي يُبْحِرُ على سَطْحِ الماءِ ، وَرَأَيْتَ الأَسْماكَ تَمْرُقُ كالسِّهامِ بَيْنَ الأَشْجارِ المُتَجاوِرةِ في القاعِ . عِنْدَئِذٍ تَكونُ قَدْ أَتَيْتَ إلى مَدينةِ مَلِكِ البَحْرِ .

كانَتْ زَوْجةُ مَلِكِ البَحْرِ قَدْ ماتَتْ مُنْذُ سَنَواتٍ ، فَتَوَلَّتْ أُمُّهُ العَجوزُ رِعايةَ شُؤُونِهِ الخاصَّةِ . وَكانَتْ أُمُّ المَلِكِ تُحِبُّ حَفيداتِها عَرائِسَ البَحْرِ السِّتَّ الجَميلاتِ حُبًّا جَمًّا . وَكانَتِ العَرائِسُ السِّتُّ يُبادِلْنَ جَدَّتَهُنَّ نَفْسَ الحُبِّ .

كانَتْ عَروسُ البَحْرِ الصُّغْرى أَجْمَلَ أَخَواتِها : فَعَيْناها في مِثْلِ زُرْقةِ البَحْرِ الصَّافيةِ ، وَبَشَرَتُها بَيْضاءُ . وَلٰكِنَّها كانَتْ ، كَسائِرِ أَخَواتِها ، بِلا ساقَيْنِ . فَقَدْ كانَتْ أَجْسامُ هٰؤُلاءِ العَرائِسِ مِثْلَ أَجْسامِ الفَتَياتِ الجَميلاتِ مِنَ البَشَرِ ، ما عَدا الجُزْءَ الأَسْفَلَ مِنْهُنَّ الَّذي كانَ في هَيْئةِ ذَيْلِ السَّمَكةِ .

كانَتِ العَرائِسُ السِّتُّ طَوالَ اليَوْمِ داخِلَ قَصْرِ والِدِهِنَّ الفَسيحِ في قاعِ البَحْرِ . وَكانَتِ الأَزْهارُ الجَميلةُ تَنْمو على جَوانِبِ الحَوائِطِ في جَميعِ غُرَفِ هٰذا القَصْرِ . وَكانَتِ الأَسْماكُ تَنْدَفِعُ إلى داخِلِ الحُجُراتِ كُلَّما فُتِحَتِ النَّوافِذُ ، كَما تَنْدَفِعُ العَصافيرُ إلى داخِلِ بُيوتِنا مِنَ النَّوافِذِ المَفْتوحةِ . غَيْرَ أَنَّ الأَسْماكَ كانَتْ أَكْثَرَ جُرْأةً مِنَ العَصافيرِ ؛ فَقَدْ كانَتْ تَتَّجِهُ مُباشَرةً إلى العَرائِسِ الصَّغيراتِ لِتَلْتَقِطَ الطَّعامَ مِنْ أَيْديهِنَّ .

كانَتْ أَمامَ قَصْرِ المَلِكِ حَديقةٌ واسِعةٌ مَليئةٌ بِنَباتاتٍ حَمْراءَ وَزَرْقاءَ ، تَزْهو أَزْهارُها بِلَوْنٍ قِرْمِزِيٍّ بَرَّاقٍ ، وَتُحيطُ بِها ظِلالٌ زَرْقاءُ خَفيفةٌ ، تَعْكِسُها مِياهُ البَحْرِ الصَّافيةُ حَتَّى لَيُحِسُّ الجالِسُ فيها أَنَّهُ لَيْسَ في الكَوْنِ أَبْدَعُ مِنْ هٰذا المَكانِ .

كانَ لِكُلِّ واحِدةٍ مِنَ العَرائِسِ جُزْءٌ مُخَصَّصٌ لَها في هٰذِهِ الحَديقةِ تَزْرَعُ فيهِ أَزْهارَها المُفَضَّلةَ . وَلَقَدْ زَرَعَتْ صُغْرى عَرائِسِ البَحْرِ في الجُزْءِ المُخَصَّصِ لَها أَزْهارًا حَمْراءَ كَثيرةً ، كَما زَرَعَتْ إلى جانِبِ تِلْكَ الأَزْهارِ شَجَرةً حَمْراءَ . وَكانَتْ هٰذِهِ العَروسُ تَخْتَلِفُ عَنْ أَخَواتِها كَثيرًا فيما تُحِبُّ وَما تَكْرَهُ .

كانَتْ عَروسُ البَحْرِ الصَّغيرةُ تُحِبُّ أَنْ تَسْمَعَ الحِكاياتِ عَنِ النَّاسِ الَّذينَ يَخْتَلِفونَ عَنْها ، وَلا يُشْبِهونَها في شَيْءٍ .. النَّاسِ الَّذينَ لَهُمْ سيقانٌ ، وَيَعيشونَ على سَطْحِ الأَرْضِ ، لا في أَعْماقِ البَحْرِ . وَكانَتْ تُلِحُّ على جَدَّتِها أَنْ تَقُصَّ عَلَيْها كُلَّ ما تَعْرِفُهُ عَنِ السُّفُنِ الَّتي تَشُقُّ أَمْواجَ البَحْرِ ، وَعَنِ المُدُنِ المُسْتَقِرَّةِ فَوْقَ اليابِسةِ ، وَمَنْ يَسْكُنونَ هٰذِهِ المُدُنَ . وَقَدْ سُرَّتْ عَروسُ البَحْرِ الصَّغيرةُ كَثيرًا عِنْدَما عَرَفَتْ مِنْ جَدَّتِها أَنَّ الأَزْهارَ الَّتي تَنْبُتُ فَوْقَ الأَرْضِ تَتَمَيَّزُ بِرائِحةٍ حُلْوةٍ عَطِرةٍ ، لِأَنَّ الأَزْهارَ الَّتي في أَعْماقِ البَحْرِ كانَتْ بِلا رائِحةٍ . وَسُرَّتْ كَذٰلِكَ عِنْدَما قالَتْ لَها الجَدَّةُ إِنَّ الأَسْماكَ الَّتي تَسْبَحُ في السَّماءِ ، كَثيرًا ما تَصْدَحُ بِالغِناءِ . وَكانَتِ الجَدَّةُ تَعْني بِتِلْكَ الأَسْماكِ الطُّيورَ المُحَلِّقةَ في الفَضاءِ ، الَّتي لَمْ تَكُنْ عَروسُ البَحْرِ تَعْرِفُ لَها اسْمًا وَلا رَأَتْها أَبَدًا .

قالَتِ الجَدَّةُ لِحَفيدَتِها الصَّغيرةِ : « سَوْفَ نَسْمَحُ لَكِ بِالصُّعودِ إلى سَطْحِ



الماءِ ، عِنْدَما تَبْلُغينَ الخامِسةَ عَشْرَةَ مِنْ عُمْرِكِ المَديدِ إنْ شاءَ اللّهُ . وَهُناكَ سَوْفَ تَجْلِسينَ في المَساءِ ، وَتَرْقُبينَ السُّفُنَ الغادِيَةَ وَالرّائِحَةَ في عُرْضِ البَحْرِ . عِنْدَئِذٍ سَوْفَ تَعْرِفينَ الكَثيرَ عَنِ المُدُنِ ، وَعَمَّنْ يَسْكُنونَها مِنْ مَخْلوقاتٍ تُسَمّى بِالبَشَرِ . »

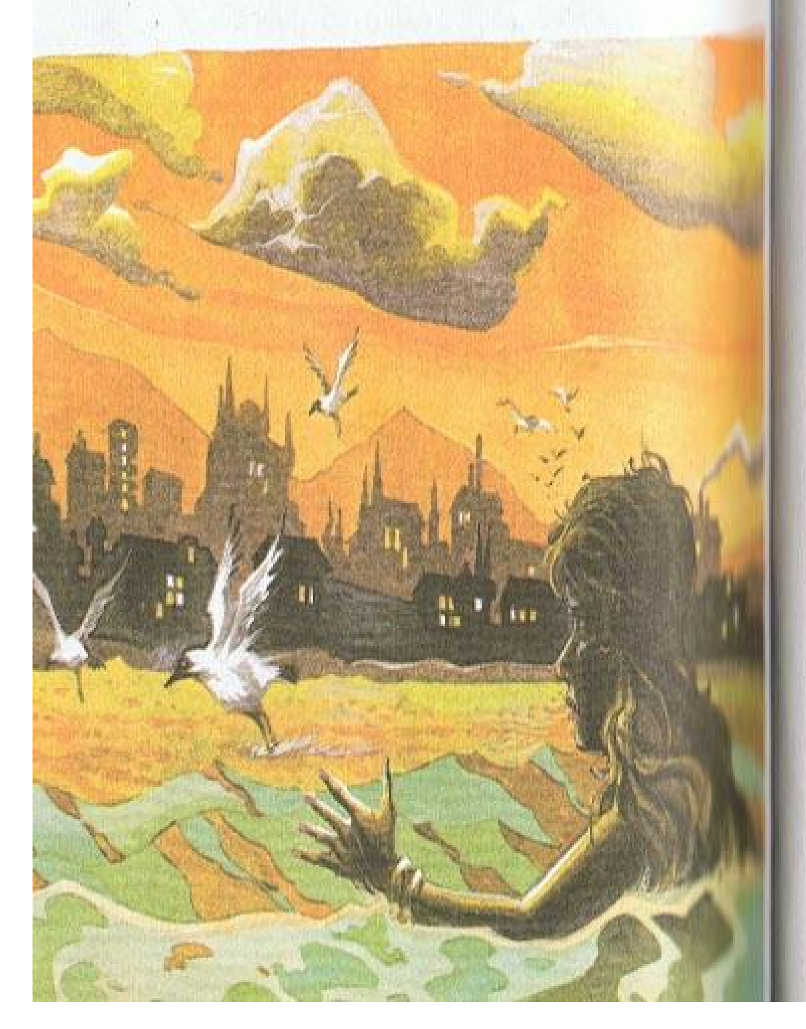
كانَتْ كُبْرى عَرائِسِ البَحْرِ سَتَبْلُغُ الخامِسةَ عَشْرَةَ في العامِ التّالي ، وَكانَتْ سَعيدةً جِدًّا بِذٰلِكَ ، عَلى حينَ حَزِنَتْ أَخَواتُها لِأَنَّهُنَّ لَنْ يَصْعَدْنَ مَعَها إلى سَطْحِ البَحْرِ . لٰكِنَّ الأُخْتَ الكُبْرى أَخَذَتْ تُسَرّي عَنْهُنَّ ، وَوَعَدَتْهُنَّ بِأَنْ تَقُصَّ عَلَيْهِنَّ كُلَّ ما سَتَراهُ في رِحْلَتِها المُرْتَقَبَةِ .

وَكانَتِ الشَّقيقَةُ الصُّغْرى أَشَدَّ العَرائِسِ رَغْبَةً ، وَأَكْثَرَهُنَّ شَوْقًا لِلصُّعودِ إلى سَطْحِ البَحْرِ . وَطالَما وَقَفَتْ في اللَّيْلِ ، تَتَطَلَّعُ مِنْ نافِذَةِ غُرْفَتِها المَفْتوحَةِ إلى أَعْلى ، مُحاوِلَةً أَنْ تَنْفُذَ بِبَصَرِها خِلالَ المِياهِ الزَّرْقاءِ . وَكانَتْ كُلَّما تَبَيَّنَتْ سَفينَةً تَمُرُّ في البَحْرِ ، ظَنَّتْها سَمَكَةً عِمْلاقَةً .

أَخيرًا حانَ اليَوْمُ الَّذي بَلَغَتْ فيهِ كُبْرى العَرائِسِ عامَها الخامِسَ عَشَرَ ، فَصَعِدَتْ إلى سَطْحِ البَحْرِ .

وَلَمّا عادَتْ إلى الأَعْماقِ ، كانَتْ تَعْرِفُ مَعْلوماتٍ وَحِكاياتٍ كَثيرَةً . قالَتْ : « أَعْظَمُ ما أَمْتَعَني هُوَ رُؤْيَةُ المَدينَةِ الكَبيرَةِ . كانَتِ المَدينَةُ قُرْبَ البَحْرِ ، وَكانَتْ تَغْمُرُها أَضْواءٌ بَرّاقَةٌ ساحِرَةٌ . وَلَقَدْ سَمِعْتُ ، وَأَنا أَسْبَحُ في الماءِ أَشْخاصًا يُغَنّونَ ، وَرِجالًا يَتَحَدَّثونَ ، كَما رَأَيْتُ مَنازِلَ ضَخْمَةً عِمْلاقَةً . عِنْدَئِذٍ تَمَنَّيْتُ دُخولَ تِلْكَ المَدينَةِ العَظيمَةِ الخَلّابَةِ . »

أَلَحَّتْ عَروسُ البَحْرِ الصَّغيرَةُ عَلى أُخْتِها أَنْ تُعيدَ عَلَيْها حِكايَةَ كُلِّ ما رَأَتْ أَوْ سَمِعَتْ عِنْدَ صُعودِها إلى سَطْحِ البَحْرِ . وَعِنْدَما وَقَفَتِ الصَّغيرَةُ في اللَّيْلَةِ التّالِيَةِ في نافِذَتِها المَفْتوحَةِ ، وَتَطَلَّعَتْ إلى أَعْلى المِياهِ الزَّرْقاءِ الصّافِيَةِ ، خُيِّلَ إلَيْها أَنَّها تَسْمَعُ أَصْواتَ الغِناءِ تَأْتيها خافِتَةً مِنْ بَعيدٍ .



وَفي ٱلعامِ ٱلثّاني ، بَلَغَتْ عروسٌ أُخرى مِنَ ٱلعَرائِسِ ٱلسِّتِّ عامَها ٱلخامِسَ عَشَرَ ، فَصَعِدَتْ إلى سطحِ ٱلبَحْرِ ، وَعِنْدَما ٱتَّخَذَتْ مَكانَها عَلى صَفْحَةِ ٱلماءِ ، كانَتِ ٱلشَّمْسُ مائِلَةً لِلْغُروبِ .

قالَتِ ٱلعروسُ لِأَخَواتِها عِنْدَما عادَتْ إلى قاعِ ٱلبَحْرِ : « أَجْمَلُ ما وَقَعَتْ عَيْنايَ عَلَيْهِ ، في رِحْلَتي تِلْكَ ، مَشْهَدُ ٱلأُفُقِ ٱلغَرْبِيِّ وَقَدِ ٱكْتَسى بَريقًا ذَهَبِيًّا فاتِنًا في ٱلمَساءِ . لا أَسْتَطيعُ أَنْ أَصِفَ لَكُنَّ رَوْعَةَ هٰذا ٱلمَشْهَدِ وَبَهاءَهُ . »

سُرْعانَ ما حانَ ٱلوَقْتُ لِتَصْعَدَ عَروسٌ أُخرى إلى سَطْحِ ٱلبَحْرِ . كانَتْ هٰذِهِ ٱلعَروسُ أَشْجَعَ ٱلأَخَواتِ ٱلسِّتِّ ، فَقَدْ سَبَحَتْ في أَحَدِ ٱلأَنْهارِ ٱلَّتي تَصُبُّ في مِياهِ ٱلبَحْرِ . وَرَأَتْ ، وَهِيَ في ٱلنَّهْرِ ، ٱلغاباتِ ٱلمُمْتَدَّةَ عَلى سُفوحِ ٱلجِبالِ ، وَٱلمَنازِلَ ٱلقائِمَةَ فَوْقَ ٱلتِّلالِ ، وَطَرِبَتْ لِشَدْوِ ٱلطُّيورِ ٱلصّادِحَةِ عَلى ٱلشَّجَرِ . وَكانَ هُناكَ أَطْفالٌ كَثيرونَ يَقْفِزونَ إلى ٱلنَّهْرِ ، وَيُلاعِبونَ كِلابَهُمْ في ٱلماءِ . وَسَبَحَ أَحَدُ هٰذِهِ ٱلكِلابِ خَلْفَ عَروسِ ٱلبَحْرِ فَتَمَلَّكَها خَوْفٌ شَديدٌ وَأَسْرَعَتْ عائِدَةً إلى ٱلبَحْرِ .

قالَتْ عَروسُ ٱلبَحْرِ في نَفْسِها عِنْدَ وُصولِها إلى ٱلقاعِ : لَنْ أَنْسى ما حَييتُ تِلْكَ ٱلجِبالَ ٱلرّائِعَةَ وَٱلغاباتِ ٱلخَلّابَةَ . وَسَأَذْكُرُ دائِمًا أُولٰئِكَ ٱلأَطْفالَ ٱلظُّرَفاءَ ، ٱلَّذينَ يَتَميَّزونَ بِٱلرِّقَّةِ وَٱلجَمالِ .

جاءَ دَوْرُ ٱلأُخْتِ ٱلتّالِيَةِ لِلصُّعودِ إلى سَطْحِ ٱلبَحْرِ ، وَلَمْ تَكُنْ جَريئَةً كَأُخْتِها ، فَقَنَعَتْ بِٱلبَقاءِ عَلى سَطْحِ ٱلماءِ ، دونَ ٱلسِّباحَةِ في ٱلنَّهْرِ . وَقالَتْ عِنْدَما عادَتْ إلى قَصْرِها في أَعْماقِ ٱلبَحْرِ : « لَقَدْ رَأَيْتُ ٱلسُّفُنَ ٱلضَّخْمَةَ ، وَلٰكِنْ مِنْ بَعيدٍ .. كانَتْ تَبْدو ، عَلى ٱلبُعْدِ ، كَطُيورٍ بَيْضاءَ ، سابِحَةٍ في ٱلفَضاءِ ! »

ٱنْقَضى عامٌ آخَرُ ، وَبَلَغَتْ عَروسٌ أُخرى سِنَّ ٱلخامِسَةَ عَشْرَةَ فَصَعِدَتْ إلى سَطْحِ ٱلماءِ . غَيْرَ أَنَّ ٱلماءَ كانَ شَديدَ ٱلبُرودَةِ في ذٰلِكَ ٱلوَقْتِ مِنَ ٱلسَّنَةِ وَكانَتِ ٱلأَرْضُ مُغَطّاةً بِٱلثَّلْجِ . وَهٰكَذا عادَتْ سَريعًا إلى قاعِ ٱلبَحْرِ .

لَقَدْ سَعِدَتِ ٱلأَخَواتُ ٱلخَمْسُ ٱللّاتي صَعِدْنَ إلى سَطْحِ ٱلبَحْرِ كَثيرًا بِرُؤْيَةِ ٱلسُّفُنِ وَٱلبَشَرِ ، وَلٰكِنَّ هٰذِهِ ٱلأَشْياءَ لَمْ تَبْقَ طَويلًا في ذاكِرَتِهِنَّ . وَسُرْعانَ ما بَدا لَهُنَّ مَنْزِلُهُنَّ في قاعِ ٱلبَحْرِ أَكْثَرَ رَوْعَةً وَجَمالًا مِنْ كُلِّ ما رَأَيْنَ عَلى سَطْحِ ٱلأَرْضِ ، أَوْ فَوْقَ صَفْحَةِ ٱلماءِ .

غَيْرَ أَنَّ ٱلأَخَواتِ ٱلخَمْسَ صَعِدْنَ إلى سَطْحِ ٱلبَحْرِ عِدَّةَ مَرّاتٍ بَعْدَ ذٰلِكَ وَكُنَّ يَظْهَرْنَ مُتَشابِكاتِ ٱلأَيْدي عَلى صَفْحَةِ ٱلماءِ ، وَيُغَنّينَ أُغْنِياتٍ رَقيقَةً عَذْبَةً لِلْمُسافِرينَ عَلى ظُهورِ ٱلسُّفُنِ .

كانَتْ هُناكَ أُغْنِيَةٌ جَذّابَةٌ يُرَدِّدْنَها بَيْنَ ٱلحينِ وَٱلآخَرِ ، وَيُنْشِدْنَ فيها قائِلاتٍ : « يا لَسَعادَتِنا ، نَحْنُ ٱلَّذينَ نَعيشُ في أَعْماقِ ٱلبَحْرِ . »

كُنَّ يُغْرينَ رُكّابَ ٱلسُّفُنِ بِٱلنُّزولِ إِلَيْهِنَّ في قاعِ ٱلبَحْرِ ، وَيُحاوِلْنَ تَبْديدَ مَخاوِفِهِمْ مِنَ ٱلغَوْصِ إلى ٱلأَعْماقِ .

وَعِنْدَما كانَتْ عَرائِسُ ٱلبَحْرِ ٱلخَمْسُ يَصْعَدْنَ إلى سَطْحِ ٱلماءِ أَثْناءَ ٱللَّيْلِ ، كانَتْ أُخْتُهُنَّ ٱلصُّغْرى تَجْلِسُ في قَصْرِ أَبيها تَتَطَلَّعُ إلى أَعْلى وَتَرْغَبُ في ٱلبُكاءِ حُزْنًا عَلى بَقائِها بِمُفْرَدِها تَحْتَ ٱلماءِ ، وَشَوْقًا لِلصُّعودِ مَعَ أَخَواتِها إلى ٱلسَّطْحِ . غَيْرَ أَنَّ سُكّانَ قاعِ ٱلبَحْرِ لا يَعْرِفونَ ٱلبُكاءَ وَهٰذا هُوَ سَبَبُ تَعاسَتِهِمُ ٱلشَّديدَةِ في بَعْضِ ٱلأَحْيانِ ، إِذْ إِنَّهُمْ يَكْبِتونَ مَشاعِرَ ٱلحُزْنِ وَٱلأَسى وَلا يَسْتَطيعونَ ٱلتَّنْفيسَ عَنْ أَنْفُسِهِمْ بِٱلبُكاءِ .

قالتْ عَروسُ ٱلبَحْرِ ٱلصَّغيرةُ تُحدِّثُ نَفْسَها : مَتى أَبْلُغُ ٱلخامسةَ عَشْرةَ ؟ أَنا عَلى يَقينٍ أَنَّني سَوْفَ أُحِبُّ ٱلأَرْضَ وَمَنْ عَلَيْها مِنَ ٱلبَشَرِ .

أَخيرًا بَلَغَتْ سِنَّ ٱلخامِسةَ عَشْرةَ ، فَسَمَحَتْ لَها ٱلجَدَّةُ بِٱلصُّعودِ إلى سَطْحِ ٱلماءِ .



وَصَلَتْ عَروسُ ٱلبَحْرِ ٱلصَّغيرةُ إلى ٱلسَّطْحِ مَعَ غُروبِ ٱلشَّمْسِ ، فَرَأَتْ سَفينةً كَبيرةً تَسيرُ في عُرْضِ ٱلبَحْرِ ، تَحْمِلُ عَلى ظَهْرِها رِجالًا يُغَنّونَ . وَعِنْدَما هَبَطَ ٱلظَّلامُ ، سَطَعَتْ أَنْوارٌ عَديدةٌ في جَنَباتِ ٱلسَّفينةِ ، فَبَدَتْ كَبُقْعةٍ مُتَلأْلِئةٍ في قَلْبِ ٱلبَحْرِ ٱلواسِعِ ٱلعَريضِ .

اِقْتَرَبَتْ عَروسُ ٱلبَحْرِ ٱلصَّغيرةُ مِنَ ٱلسَّفينةِ ، وَمَدَّتْ بَصَرَها إلى ما وَراءِ ٱلنَّوافِذِ ، فَرَأَتْ رِجالًا وُجَهاءَ يَرْتَدونَ مَلابِسَ فاخِرةً أَنيقةً . وَكانَ أَجْمَلَ هٰؤُلاءِ ٱلرِّجالِ أَميرٌ شابٌّ ذو عَيْنَيْنِ واسِعَتَيْنِ زَرْقاوَيْنِ ، وَكانَ في مِثْلِ سِنِّ ٱلأَميرةِ أَوْ يَكْبُرُها بِقَليلٍ . وَكانَتِ ٱلأَضْواءُ تَغْمُرُ ٱلسَّفينةَ وَتَكْشِفُ عَمّا في داخِلِها بِوُضوحٍ . وَبَدا لَها ٱلأَميرُ ٱلشّابُّ في قِمَّةِ ٱلمَرَحِ وَٱلسَّعادةِ .

لَمْ تَسْتَطِعْ عَروسُ ٱلبَحْرِ ٱلصَّغيرةُ أَنْ تَبْتَعِدَ عَنِ ٱلسَّفينةِ بَعْدَ أَنْ رَأَتْ عَلى ظَهْرِها ذٰلِكَ ٱلأَميرَ ٱلوَسيمَ ٱلجَميلَ ، وَظَلَّتْ تَتَطَلَّعُ إلى ما وَراءِ ٱلنّافِذةِ وَقْتًا طَويلًا . وَزادَتِ ٱلسَّفينةُ مِنْ سُرْعَتِها في ٱلإبْحارِ ، غَيْرَ أَنَّ ٱلسُّحُبَ لَمْ تَلْبَثْ أَنْ تَكاثَفَتْ ، ثُمَّ ٱنْهَمَرَ مَطَرٌ غَزيرٌ ، وَدَوّى صَوْتُ ٱلرَّعْدِ ، وَلَمَعَ ٱلبَرْقُ في ٱلسَّماءِ ، وَأَخَذَتِ ٱلرِّياحُ ٱلعاتيةُ تَتَلاعَبُ بِٱلسَّفينةِ ، وَتَتَقاذَفُها ذاتَ ٱليَمينِ وَذاتَ ٱلشِّمالِ . وَسُرْعانَ ما تَدَفَّقَتِ ٱلمِياهُ إلى داخِلِ ٱلسَّفينةِ ، وَدَفَعَتْ بِها إلى أَعْماقِ ٱلبَحْرِ .

سُرَّتْ عَروسُ ٱلبَحْرِ ٱلصَّغيرةُ بِما حَدَثَ لِلسَّفينةِ ، ظَنًّا مِنْها أَنَّ ذٰلِكَ سَوْفَ يُتيحُ لَها ٱلاِلْتِقاءَ بِفَتى أَحْلامِها ٱلوَسيمِ في قاعِ ٱلبَحْرِ . وَلٰكِنَّها لَمْ تَلْبَثْ أَنْ حَدَّثَتْ نَفْسَها قائِلةً : وَلٰكِنْ هَلْ يَسْتَطيعُ بَنو ٱلبَشَرِ أَنْ يَعيشوا تَحْتَ ٱلماءِ ؟ أَخْشى أَنْ يَفْقِدَ أَميرِيَ ٱلجَميلُ حَياتَهُ وَهُوَ في طَريقِهِ إلى قَصْري ! ثُمَّ صاحَتْ في قَلَقٍ وَلَهْفةٍ : « لا ! يَجِبُ أَلّا يَموتَ ! »

شَرَعَتْ تَبْحَثُ عَنِ ٱلأَميرِ ٱلشّابِّ بَيْنَ ٱلأَمْواجِ ، وَما إنْ رَأَتْهُ حَتّى مَرَقَتْ إلَيْهِ كَٱلسَّهْمِ وَأَخْرَجَتْ رَأْسَهُ مِنْ تَحْتِ ٱلماءِ . كانَتْ عَيْناهُ مُغْمَضَتَيْنِ ، وَكانَ عَلى شَفا ٱلمَوْتِ .



طَلَعَ الصَّباحُ ، وَبَزَغَتِ الشَّمْسُ كَكُتْلَةٍ مِنْ نارٍ . وَكانَتْ عَروسُ الْبَحْرِ الصَّغيرةُ تُمْسِكُ بِيَدِ الأَميرِ ، وَهُوَ مُلْقًى عَلى أَرْضِ غابَةٍ قُرْبَ الْبَحْرِ .

وَقَبَّلَتْ عَروسُ الْبَحْرِ الصَّغيرةُ وَجْهَ الأَميرِ ، وَهِيَ تَهْمِسُ في انْفِعالٍ :
« لا أُريدُهُ أَنْ يَموتَ . كَلّا ! يَجِبُ أَلّا يَموتَ . »

ثُمَّ تَطَلَّعَتْ إلى الْغابَةِ الْفَسيحَةِ الْمُحيطَةِ بِهِما ، وإلى التِّلالِ الْبَعيدَةِ الْمُغَطّاةِ بِالثُّلوجِ ، فَرَأَتْ مَنْزِلًا أَبْيَضَ اللَّوْنِ ، يَتَوَسَّطُ تِلْكَ الْغابَةَ ، وَخَرَجَتْ مِنَ الْمَنْزِلِ بِضْعُ فَتَياتٍ جَميلاتٍ ، لِيَتَنَزَّهْنَ في الْغابَةِ . وما إِنْ رَأَتْهُنَّ عَروسُ الْبَحْرِ حَتّى جَرَتْ بَعيدًا واخْتَبَأَتْ خَلْفَ كَوْمَةٍ مِنَ الْحِجارَةِ .

وَقَعَ بَصَرُ إِحْدى هٰؤُلاءِ الْفَتَياتِ عَلى الأَميرِ ، فَظَنَّتْ أَنَّهُ مَيِّتٌ وَفَزِعَتِ الْفَتاةُ الْجَميلَةُ لِذٰلِكَ ، وَصاحَتْ طالِبَةً النَّجْدَةَ . أَمّا عَروسُ الْبَحْرِ الصَّغيرَةُ ، فَقَدِ اخْتَلَسَتِ النَّظَرَ إلى الأَميرِ مِنْ خَلْفِ الْحِجارَةِ ، وَعِنْدَما اطْمَأَنَّتْ إلى أَنَّهُ ما زالَ عَلى قَيْدِ الْحَياةِ ، ظَلَّتْ في مَخْبَئِها تارِكَةً إِيّاهُ في رِعايَةِ الْفَتاةِ الأُخْرى .

لَمْ يَبْحَثِ الأَميرُ الشّابُّ عَنْ عَروسِ الْبَحْرِ ، إِذْ لَمْ يَكُنْ يَعْلَمُ أَنَّها هِيَ الَّتي أَنْقَذَتْهُ مِنَ الْغَرَقِ . وَتَجَمَّعَ بَعْضُ النّاسِ ، وَحَمَلوا الأَميرَ إلى الْمَنْزِلِ الأَبْيَضِ الْمَوْجودِ في الْغابَةِ . وَحَزِنَتِ الأَميرَةُ لِذٰلِكَ أَشَدَّ الْحُزْنِ فَقَفَزَتْ إلى الْماءِ ، وعادَتْ إلى قَصْرِ أَبيها في قاعِ الْبَحْرِ .

سَأَلَتْها أَخَواتُها عَمّا رَأَتْ عَلى سَطْحِ الأَرْضِ ، وَلٰكِنَّها لَمْ تُجِبْ بِشَيْءٍ .
مَرَّتْ بِضْعَةُ أَسابيعَ ، وَزالَ الْبَرْدُ الشَّديدُ ، وَانْحَسَرَتِ الثُّلوجُ عَنِ التِّلالِ ، وَتَفَتَّحَتِ الأَزْهارُ في الْغاباتِ . وَفي أَثْناءِ ذٰلِكَ كانَتْ عَروسُ الْبَحْرِ الصَّغيرَةُ قَدْ ذَهَبَتْ عِدَّةَ مَرّاتٍ إلى الْمَنْزِلِ الأَبْيَضِ الْمَوْجودِ في الْغابَةِ ، لٰكِنَّها لَمْ تَرَ أَميرَها

الْمَحْبوبَ . وَكانَتْ في كُلِّ مَرَّةٍ ، تَعودُ إلى أَعْماقِ الْبَحْرِ حَزينَةً . وَبَلَغَتْ بِها الْحالُ أَنْ كَرِهَتْ حَديقَتَها الْخاصَّةَ الْجَميلَةَ .

وَأَخيرًا حَكَتْ قِصَّتَها لإِحْدى أَخَواتِها . وَخَتَمَتْ قِصَّتَها قائِلَةً :
« وَالآنَ ، هَلْ عَرَفْتِ ، يا أُخْتاهُ ، لِماذا أَنا حَزينَةٌ ؟ »

حَكَتِ الأُخْتُ الْقِصَّةَ لِسائِرِ الأَميراتِ ، فَنَقَلْنَها إلى صَديقاتِهِنَّ . وَتَذَكَّرَتْ إِحْدى الصَّديقاتِ أَنَّها رَأَتِ الأَميرَ الشّابَّ مِنْ قَبْلُ ، فَدَلَّتِ الأَميراتِ عَلى الْبَلَدِ الَّذي يَعيشُ فيهِ .

اِصْطَحَبَتْ عَرائِسُ الْبَحْرِ الْخَمْسُ أُخْتَهُنَّ الصُّغْرى في رِحْلَتِهِنَّ إلى سَطْحِ الْماءِ ثُمَّ خَرَجْنَ مِنَ الْبَحْرِ مُتَشابِكاتِ الأَيْدي أَمامَ قَصْرِ الأَميرِ .

كانَ الْقَصْرُ مَبْنِيًّا مِنَ الأَحْجارِ الْبَيْضاءِ . وَتَطَلَّعَتِ الْعَرائِسُ ، عَبْرَ النّافِذَةِ الْمَفْتوحَةِ ، إلى داخِلِ حُجُراتِهِ الْواسِعَةِ . وَكانَتِ الْحُجُراتُ ذاتَ رَوْنَقٍ ساحِرٍ يَجْذِبُ مَنْ يَراهُ حَتّى إِنَّ عَرائِسَ الْبَحْرِ شَعَرْنَ بِبَهْجَةٍ عَظيمَةٍ بِمُجَرَّدِ النَّظَرِ إِلَيْها . وَعَرَفَتْ عَروسُ الْبَحْرِ الصَّغيرَةُ أَنَّ ذٰلِكَ هُوَ قَصْرُ أَميرِها الشّابِّ ، فَتَكَرَّرَتْ زِياراتُها اللَّيْلِيَّةُ لِلْقَصْرِ . وَكانَتْ في كُلِّ مَرَّةٍ تَذْهَبُ إلى هُناكَ ، تَقِفُ بِالْخارِجِ ، وَتَمُدُّ بَصَرَها إلى داخِلِ الْغُرْفَةِ الَّتي يَجْلِسُ بِها الأَميرُ .

رَأَتِ الأَميرَ الشّابَّ في أَحْيانٍ كَثيرَةٍ واقِفًا عَلى ظَهْرِ سَفينَةٍ صَغيرَةٍ تَسيرُ في النَّهْرِ . وَكانَتْ حينَئِذٍ تَخْتَبِئُ بَيْنَ الْحَشائِشِ الطَّويلَةِ ، النّامِيَةِ عَلى ضِفَّةِ النَّهْرِ ، وَتَتَطَلَّعُ إِلَيْهِ في شَغَفٍ مِنْ بَعيدٍ . وَسَمِعَتِ الصَّيّادينَ ، ذاتَ لَيْلَةٍ ، يَتَحَدَّثونَ عَنِ الأَميرِ وَيَصِفونَهُ بِالشَّجاعَةِ وَالإِقْدامِ ، فَشَعَرَتْ بِالسَّعادَةِ لأَنَّها تَمَكَّنَتْ ذاتَ يَوْمٍ مِنْ إِنْقاذِ حَياتِهِ .



أَخَذَ حُبُّ عَروسِ البَحْرِ الصَّغيرةِ لِلْبَشَرِ ، الَّذينَ يَعيشونَ عَلى الأَرْضِ ، يَنْمو أَكْثَرَ فَأَكْثَرَ كُلَّ يَوْمٍ . وَرَغِبَتْ في أَنْ تُصْبِحَ واحِدَةً مِنْ هٰؤُلاءِ البَشَرِ ، الَّذينَ يَسْتَطيعونَ التَّنَقُّلَ مِنْ مَكانٍ إِلى مَكانٍ فَوْقَ سَطْحِ الأَرْضِ . وَيَسْتَطيعونَ الإِبحارَ في الماءِ عَلى ظُهورِ السُّفُنِ ، وَالصُّعودَ إِلى قِمَمِ الجِبالِ الشّاهِقَةِ . وَيَسْتَطيعونَ أَيْضًا زِراعَةَ الحَدائِقِ الغَنّاءِ الواسِعَةِ ، وَبِناءَ البُيوتِ الأَنيقَةِ الضَّخْمَةِ . وَغَيْرَ ذٰلِكَ ، مِمّا لا يَسْتَطيعُ بَنو جِنْسِها القِيامَ بِهِ مِنْ أَعْمالٍ . أَرادَتْ أَنْ تَعْرِفَ المَزيدَ عَنْ حَياةِ النّاسِ الَّذينَ يَعيشونَ عَلى سَطْحِ الأَرْضِ ، وَلٰكِنَّ أَخَواتِها لَمْ يَسْتَطِعْنَ الإِجابَةَ عَنْ أَسْئِلَتِها الكَثيرَةِ .

لَجَأَتْ عَروسُ البَحْرِ الصَّغيرَةُ مَرَّةً أُخْرى إِلى جَدَّتِها العَجوزِ تَسْأَلُها : « هَلْ يَعيشُ البَشَرُ الَّذينَ يَسْكُنونَ الأَرْضَ إِلى الأَبَدِ ؟ »

أَجابَتِ الجَدَّةُ : « لا ! لابُدَّ أَنْ يَموتوا مِثْلَنا ، في يَوْمٍ مِنَ الأَيّامِ . وَحَياتُهُمْ لَيْسَتْ طَويلَةً كَحَياتِنا ، نَحْنُ نَعيشُ حَوالَى ثَلاثِمِئَةِ عامٍ . وَعِنْدَما نَموتُ ، تَتَحَوَّلُ أَجْسادُنا إِلى ماءٍ يَمْتَزِجُ بِمِياهِ البَحْرِ . وَلٰكِنْ لَيْسَ لَنا أَرْواحٌ كَتِلْكَ الَّتي تَسْكُنُ أَجْسادَ بَني البَشَرِ . لِهٰذا السَّبَبِ فَنَحْنُ نَفْنى فَناءً تامًّا

بِالمَوْتِ ، في حينِ تَصْعَدُ أَرْواحُهُمْ ، عِنْدَما يُدْرِكُهُمُ المَوْتُ ، إِلى مَكانٍ رائِعٍ في السَّماءِ . »

تَساءَلَتْ عَروسُ البَحْرِ الصَّغيرَةُ : « وَلِماذا لا يَكونُ لَنا نَحْنُ أَرْواحٌ كَالَّتي لِبَني البَشَرِ ياجَدَّتي ؟ لَوْ كانَ لي روحٌ لَما أَرَدْتُ أَنْ أَحْيا ثَلاثَمِئَةِ عامٍ ، إِذْ سَأَكونُ قادِرَةً – بَعْدَ المَوْتِ – عَلى أَنْ أَعيشَ إِلى الأَبَدِ ، في ذٰلِكَ المَكانِ البَهيجِ الرّائِعِ في السَّماءِ ! »

قالَتِ الجَدَّةُ : « يَجِبُ أَلّا تُفَكِّري في مِثْلِ هٰذِهِ الأُمورِ ، نَحْنُ أَطْوَلُ عُمْرًا مِنْ بَني البَشَرِ وَنَحْيا حَياةً أَسْعَدَ بِكَثيرٍ . »

قالَتْ عَروسُ البَحْرِ : « إِذا مِتُّ هُنا في قاعِ البَحْرِ ، فَلَنْ أَسْتَطيعَ الصُّعودَ إِلى سَطْحِهِ بَعْدَ ذٰلِكَ ، وَلَنْ أَسْمَعَ أَبَدًا صَخَبَ الأَمْواجِ المُمْتِعَ ، أَوْ أَرى بَهاءَ الشَّمْسِ في الشُّروقِ وَفي الغُروبِ ! قولي لي ياجَدَّتي الحَبيبَةَ : أَلا توجَدُ وَسيلَةٌ أُصْبِحُ مَعَها مِثْلَهُمْ ؟ »

أَجابَتْها الجَدَّةُ : « تَسْتَطيعينَ أَنْ تَكوني مِثْلَهُمْ إِذا ما أَحَبَّكِ إِنْسانٌ حُبًّا عَظيمًا يَفوقُ حُبَّهُ لِوالِدَيْهِ . وَعِنْدَما يَعْتَرِفُ مِثْلُ هٰذا الرَّجُلِ بِأَنَّهُ سَيُحِبُّكِ هٰذا الحُبَّ العَظيمَ إِلى الأَبَدِ ، فَإِنَّ روحَهُ سَوْفَ تَسْكُنُ جَسَدَكِ في الحالِ . لا سَبيلَ إِلى أَنْ تَكوني مِثْلَهُمْ إِلّا إِذا أَحَبَّكِ إِنْسانٌ مِنْ أَهْلِ الأَرْضِ . لٰكِنَّ هٰذا لَنْ يَحْدُثَ ، لِأَنَّ أَهْلَ الأَرْضِ يَخْتَلِفونَ عَنّا ؛ فَلَهُمْ سيقانٌ يَرَوْنَها أَجْمَلَ وَأَفْضَلَ مِنْ ذُيولِنا . »

عِنْدَئِذٍ أَطْرَقَتْ عَروسُ البَحْرِ الصَّغيرَةُ في حُزْنٍ بالِغٍ ، فَقَدْ كانَ جِسْمُها كَأَجْسامِ الفَتَياتِ مِنَ البَشَرِ ، وَلٰكِنَّها كانَتْ بِلا ساقَيْنِ ، وَكانَ الجُزْءُ الأَسْفَلُ

مِنْ جِسْمِها عَلى هَيْئَةِ ذَيْلِ سَمَكَةٍ . وَلَمْ تَلْبَثْ أَنْ قالَتْ في نَفْسِها : سَوْفَ أَذْهَبُ إلى تِلْكَ ٱلسّاحِرَةِ ٱلْعَجوزِ ٱلَّتي كُنْتُ أَخْشى ٱلذَّهابَ إلَيْها مِنْ قَبْلُ ، فَهِيَ ٱلَّتي تَسْتَطيعُ أَنْ تُساعِدَني بِوَسيلَةٍ مِنْ وَسائِلِها ٱلسِّحْرِيَّةِ .

ذَهَبَتْ عَروسُ ٱلْبَحْرِ ٱلصَّغيرَةُ إلى بَيْتِ ٱلسّاحِرَةِ . كانَتْ هُناكَ نَباتاتٌ كَثيرَةٌ قَبيحَةٌ تَلْتَفُّ حَوْلَ مَنْزِلِ ٱلسّاحِرَةِ . وَكانَتْ تِلْكَ ٱلنَّباتاتُ تَمُدُّ فُروعَها ٱلضَّخْمَةَ لِٱصْطِيادِ مَنْ يَقْتَرِبُ مِنْها . وَشَعَرَتِ ٱلْأَميرَةُ بِخَوْفٍ شَديدٍ عِنْدَما رَأَتْ مِنْ بَعيدٍ تِلْكَ ٱلنَّباتاتِ ٱلْمُخيفَةَ ، تَحْمِلُ عَلى فُروعِها جَماجِمَ بَعْضِ ٱلْمَوْتى مِنْ ضَحاياها . وَأَرادَتْ أَنْ تَعودَ أَدْراجَها إلى قَصْرِ والِدِها ، غَيْرَ أَنَّها تَذَكَّرَتِ ٱلْأَميرَ ٱلْجَميلَ ٱلَّذي تُحِبُّهُ ، فَاسْتَجْمَعَتْ شَجاعَتَها ، وَتَقَدَّمَتْ إلى بَيْتِ ٱلسّاحِرَةِ في خُطًى ثابِتَةٍ .

قالَتِ ٱلسّاحِرَةُ لِعَروسِ ٱلْبَحْرِ ٱلصَّغيرَةِ : « أَعْرِفُ سَبَبَ مَجيئِكِ ، وَسَوْفَ أُعْطيكِ ما تُريدينَ . غَيْرَ أَنَّني أُحِبُّ أَنْ أُنَبِّهَكِ أَوَّلًا إلى أَنَّ تَحْقيقَ هٰذِهِ ٱلرَّغْبَةِ سَوْفَ يَجْلُبُ لَكِ كَثيرًا مِنَ ٱلْمَتاعِبِ . أَنْتِ تُريدينَ أَنْ يَكونَ لَكِ ساقانِ حَتّى يَقَعَ في حُبِّكِ أَميرٌ شابٌّ مِنْ سُكّانِ ٱلْأَرْضِ فَتُصْبِحي مِنْهُمْ . حَسَنًا ، سَوْفَ أُحْضِرُ لَكِ شَرابًا تَتَناوَلينَهُ بِمُجَرَّدِ صُعودِكِ إلى سَطْحِ ٱلْأَرْضِ ، عِنْدَئِذٍ سَوْفَ تَنْبُتُ لَكِ ساقانِ ، وَيُصْبِحُ جِسْمُكِ مِثْلَ أَجْسامِ ٱلْفَتَياتِ مِنْ بَني ٱلْبَشَرِ تَمامًا . وَلٰكِنَّكِ سَتُقاسينَ آلامًا فَظيعَةً بِسَبَبِ هٰذا ٱلتَّحَوُّلِ في جِسْمِكِ . سَوْفَ تُصْبِحينَ فَتاةً رائِعَةَ ٱلْجَمالِ بِلا رَيْبٍ ، وَلٰكِنَّ ساقَيْكِ سَتُؤْلِمانِكِ كَثيرًا عِنْدَ ٱلْمَشْيِ . وَٱلْآنَ ، هَلْ تُريدينَ أَنْ تَصيري مِثْلَ أَهْلِ ٱلْأَرْضِ ؟ »

أَجابَتْ عَروسُ ٱلْبَحْرِ ٱلصَّغيرَةُ : « نَعَمْ ، أُريدُ ذٰلِكَ مِنْ كُلِّ قَلْبي . »

واصَلَتِ ٱلسّاحِرَةُ ٱلْعَجوزُ كَلامَها قائِلَةً : « يَجِبُ أَيْضًا أَنْ أَذْكُرَ لَكِ ، أَنَّهُ بِمُجَرَّدِ ٱتِّخاذِكِ هَيْئَةَ ٱلْإِنْسانِ كامِلَةً ، لَنْ تَسْتَطيعي ٱسْتِعادَةَ هَيْئَةِ ذَيْلِ ٱلسَّمَكَةِ في ٱلْجُزْءِ ٱلسُّفْلِيِّ مِنْ جِسْمِكِ . وَمَعْنى ذٰلِكَ أَنَّكِ لَنْ تَعودي أَميرَةً لِلْبَحْرِ ، وَلَنْ تَرْجِعي لِلْحَياةِ مَعَ أَخَواتِكِ في قاعِ ٱلْبَحْرِ . وَإذا رَفَضَ ٱلْأَميرُ ٱلشّابُّ مُفارَقَةَ والِدَيْهِ لِلزَّواجِ بِكِ ، فَسَتَموتينَ عَلى ٱلْفَوْرِ . وَعِنْدَئِذٍ سَيَتَحَوَّلُ جِسْمُكِ إلى ماءٍ يَمْتَزِجُ بِمِياهِ ٱلْبَحْرِ ، لِأَنَّ روحًا خالِدَةً لَمْ تَسْكُنْ هٰذا ٱلْجِسْمَ ! »

قالَتْ عَروسُ ٱلْبَحْرِ ٱلصَّغيرَةُ : « بِٱلرَّغْمِ مِنْ كُلِّ ذٰلِكَ ، فَأَنا عازِمَةٌ عَلى أَنْ أَصيرَ واحِدَةً مِنْ سُكّانِ ٱلْأَرْضِ . »

قالَتِ ٱلْعَجوزُ : « بَقِيَ شَيْءٌ آخَرُ : أَنْتِ ٱلْآنَ تَتَحَدَّثينَ وَتُغَنّينَ بِصَوْتٍ عَذْبٍ جَميلٍ ، وَلٰكِنْ عِنْدَما تُصْبِحينَ واحِدَةً مِنْ أَهْلِ ٱلْأَرْضِ ، سَتَفْقِدينَ ٱلْقُدْرَةَ عَلى ٱلْكَلامِ وَٱلْغِناءِ . »

تَساءَلَتْ عَروسُ ٱلْبَحْرِ ٱلصَّغيرَةُ في قَلَقٍ : « وَلٰكِنْ كَيْفَ أَجْعَلُ ٱلْأَميرَ يُحِبُّني إذا لَمْ أَسْتَطِعِ ٱلْكَلامَ ؟ »

أَجابَتْها ٱلسّاحِرَةُ : « سَوْفَ يَجْذِبُهُ إلَيْكِ قَدُّكِ ٱلْأَهْيَفُ ٱلْجَميلُ ، وَمِشْيَتُكِ ٱلرَّشيقَةُ ٱلْجَذّابَةُ ، وَعَيْناكِ ٱلسّاحِرَتانِ ٱلْمُعَبِّرَتانِ عَمّا تُريدينَ ٱلْإِفْضاءَ بِهِ مِنْ مَعانٍ ؛ فَلَنْ يَكونَ عَسيرًا عَلَيْكِ ٱلْإِيقاعُ بِهِ في حُبِّكِ . وَلٰكِنْ قولي لي يابُنَيَّتي : أَمُصَمِّمَةٌ أَنْتِ عَلى أَنْ أُحَوِّلَكِ إلى فَتاةٍ مِنَ ٱلْبَشَرِ ؟ »

رَدَّتْ عَروسُ ٱلْبَحْرِ ٱلصَّغيرَةُ بِٱلْإِيجابِ ، فَناوَلَتْها ٱلْمَرْأَةُ ٱلْعَجوزُ ٱلشَّرابَ ٱلسِّحْرِيَّ . وَٱنْطَلَقَتْ بِهِ عَروسُ ٱلْبَحْرِ بَعيدًا ، وَسُرْعانَ ما وَصَلَتْ إلى قَصْرِ والِدِها ٱلْمَلِكِ .

كانَ ٱلْقَصْرُ مُظْلِمًا تَمامًا ، وَكانَ ٱلْجَميعُ في داخِلِهِ يَغِطُّونَ في نَوْمٍ عَميقٍ . وَتَرَدَّدَتْ عَروسُ ٱلْبَحْرِ ٱلصَّغيرَةُ في ٱلدُّخولِ ، إِذْ كانَتْ قَدْ وَطَّدَتِ ٱلْعَزْمَ عَلى فِراقِ ٱلْقَصْرِ إِلى ٱلأَبَدِ ، وَغَشِيَها لِذٰلِكَ حُزْنٌ عَميقٌ . وَسارَتْ إِلى ٱلْحَديقَةِ ٱلْكَبيرَةِ ، وَقَطَفَتْ زَهْرَةً مِنْ كُلِّ حَديقَةٍ مِنْ حَدائِقِ أَخَواتِها ٱلْخاصَّةِ لِلاحْتِفاظِ بِها كَتَذْكارٍ ، ثُمَّ أَخَذَتْ تَصْعَدُ رُوَيْدًا رُوَيْدًا إِلى سَطْحِ ٱلأَرْضِ .

وَصَلَتْ عَروسُ ٱلْبَحْرِ ٱلصَّغيرَةُ إِلى قَصْرِ ٱلأَميرِ ٱلشَّابِّ قَبْلَ بُزوغِ ٱلْفَجْرِ وَما إِنْ عَبَرَتِ ٱلْبابَ حَتّى تَناوَلَتِ ٱلشَّرابَ ٱلسِّحْرِيَّ . وَسُرْعانَ ما سَرى ٱلشَّرابُ في جِسْمِها ، وَأَحْدَثَ لَها أَلَمًا شَديدًا ، فَسَقَطَتْ عَلى ٱلأَرْضِ فاقِدَةً ٱلْوَعْيَ . وَأَفاقَتْ بَعْدَ شُروقِ ٱلشَّمْسِ ، عَلى آلامٍ فَظيعَةٍ في ذِراعَيْها وَساقَيْها . غَيْرَ أَنَّها رَأَتِ ٱلأَميرَ ٱلشَّابَّ ٱلْجَميلَ واقِفًا إِلى جِوارِها .

سَأَلَها ٱلأَميرُ قائِلًا : « مَنْ أَنْتِ ؟ كَيْفَ أَتَيْتِ إِلى هُنا ؟ »

نَظَرَتْ إِلَيْهِ بِعَيْنَيْها ٱلزَّرْقاوَيْنِ ٱلْجَميلَتَيْنِ ، وَلٰكِنَّها لَمْ تَقْوَ عَلى ٱلْكَلامِ . وَأَمْسَكَ ٱلأَميرُ بِذِراعَيْها ، وَقادَها إِلى داخِلِ ٱلْقَصْرِ . وَما إِنْ مَشَتْ بِضْعَ خُطواتٍ ، حَتّى سَرى ٱلأَلَمُ في ساقَيْها مَرَّةً أُخْرى . وَتَطَلَّعَ ٱلْجَميعُ في إِعْجابٍ إِلى مِشْيَتِها ٱلرَّشيقَةِ ، وَلٰكِنَّ أَحَدًا مِنْهُمْ لَمْ يَدْرِ شَيْئًا عَنِ ٱلأَلَمِ ٱلشَّديدِ ٱلَّذي كانَتْ تُعانيهِ .

أَمَرَ ٱلأَميرُ بِإِحْضارِ مَلابِسَ فاخِرَةٍ أَنيقَةٍ لِعَروسِ ٱلْبَحْرِ ٱلصَّغيرَةِ ، وَسُرْعانَ ما تَأَلَّقَتْ بِجَمالِها وَرَوْنَقِها في ٱلْقَصْرِ ، وَصارَتْ أَجْمَلَ مَنْ فيهِ عَلى ٱلإِطْلاقِ ، وَلٰكِنَّها لَمْ تَسْتَطِعِ ٱلْكَلامَ أَوِ ٱلْغِناءَ . وَقَدْ أَحْزَنَها ذٰلِكَ ، إِذْ كانَتْ تَعْلَمُ أَنَّ ٱلأَميرَ يُحِبُّ ٱلاسْتِماعَ إِلى ٱلْغِناءِ .



وَذاتَ صَباحٍ فاجَأَها الأَميرُ بِقَوْلِهِ : « لا بُدَّ أَنْ تَبْقَيْ مَعي عَلى الدَّوامِ . »

أَسْعَدَها ذٰلِكَ القَوْلُ أَعْظَمَ السَّعادَةِ . وَمُنْذُ ذٰلِكَ اليَوْمِ ، لازَمَتْهُ في كُلِّ مَكانٍ ذَهَبَ إِلَيْهِ : في تَسَلُّقِ الجِبالِ ، وَفي رُكوبِ الجِيادِ داخِلَ الغابَةِ . وَمَعَ أَنَّ ساقَيْها كانَتا تُؤْلِمانِها طَوالَ الوَقْتِ ، فَإِنَّها لَمْ تُخْبِرْ أَحَدًا بِذٰلِكَ ، وَاكْتَفَتْ بِوَضْعِهِما كُلَّ لَيْلَةٍ في ماءِ البَحْرِ البارِدِ قُرْبَ قَصْرِ الأَميرِ . وَكانَتْ كُلَّما رَأَتِ البَحْرَ ، هَفا قَلْبُها إِلى أَحِبّائِها السّاكِنينَ في قاعِهِ .

وَبَيْنَما كانَتْ تَضَعُ قَدَمَيْها في ماءِ البَحْرِ ذاتَ لَيْلَةٍ ، خَرَجَتْ أَخَواتُها مِنْ أَعْماقِ البَحْرِ ، وَكُنَّ مُكْتَئِباتٍ لِلْغايَةِ . وَمُنْذُ ذٰلِكَ الحينِ ، أَخَذَتْ عَرائِسُ البَحْرِ الخَمْسُ يَصْعَدْنَ إِلى سَطْحِ الماءِ كُلَّ لَيْلَةٍ . وَذاتَ مَرَّةٍ ، أَحْضَرْنَ مَعَهُنَّ جَدَّتَهُنَّ العَجوزَ ، وَأَحْضَرْنَ والِدَهُنَّ مَلِكَ البَحْرِ في مَرَّةٍ أُخْرى . غَيْرَ أَنَّ المَلِكَ وَأُمَّهُ لَمْ يَسْتَطيعا الاقْتِرابَ مِنَ الأَرْضِ بِسَبَبِ تَقَدُّمِهِما في السِّنِّ ، وَلِذٰلِكَ لَمْ يَتَحَدَّثا إِلى عَروسِ البَحْرِ الصَّغيرَةِ .

كانَ حُبُّ الأَميرِ الشّابِّ لِعَروسِ البَحْرِ الصَّغيرَةِ يَزْدادُ يَوْمًا بَعْدَ يَوْمٍ . كانَ شَديدَ الانْبِهارِ بِجَمالِها الرّائِعِ ، وَلٰكِنَّهُ لَمْ يُفَكِّرْ أَبَدًا في الزَّواجِ بِها أَمّا عَروسُ البَحْرِ الصَّغيرَةُ فَكانَتْ تَوَدُّ الاقْتِرانَ بِهِ في أَسْرَعِ وَقْتٍ ، خَشْيَةَ أَنْ يَذْهَمَها المَوْتُ .

عِنْدَما جَلَسَ الأَميرُ بِجِوارِها ذاتَ يَوْمٍ ، قالَتْ لَهُ بِعَيْنَيْها السّاحِرَتَيْنِ : « هَلْ تُحِبُّني أَكْثَرَ مِنَ الأُخْرَياتِ ؟ »

أَجابَها الأَميرُ قائِلًا : « نَعَمْ بِالتَّأْكيدِ ، إِنَّني أُحِبُّكِ أَكْثَرَ مِنْ أَيِّ فَتاةٍ أَعْرِفُها لِأَنَّكِ رَقيقَةٌ وَطَيِّبَةُ القَلْبِ ، كَما أَنَّكِ تُحِبّينَني جِدًّا . بِالإِضافَةِ إِلى أَنَّكِ شَديدَةُ الشَّبَهِ بِفَتاةٍ صَغيرَةٍ جَميلَةٍ رَأَيْتُها ذاتَ يَوْمٍ ، وَلَمْ تُفارِقْ خَيالي مُنْذُ ذٰلِكَ

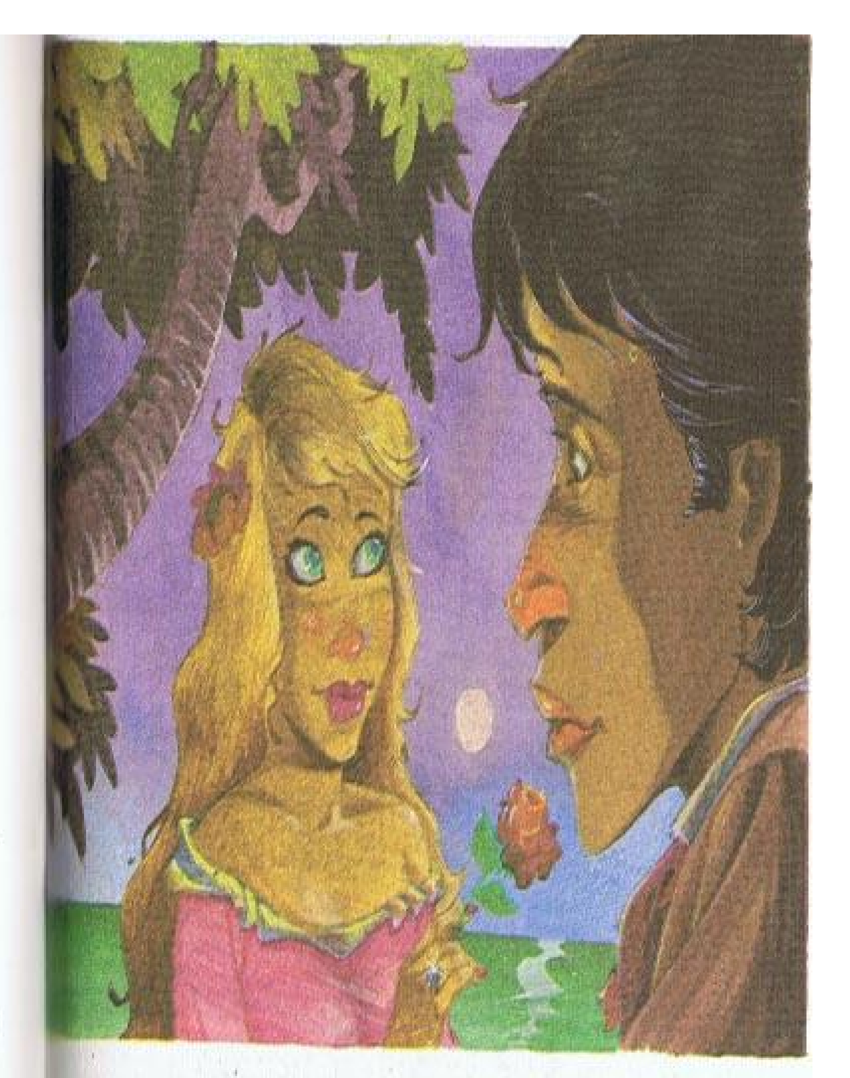
الحينِ : كُنْتُ يَوْمَئِذٍ عَلى ظَهْرِ سَفينَةٍ تَلاعَبَتْ بِها الأَمْواجُ ، وَانْدَفَعَ الماءُ إِلى داخِلِها وَأَغْرَقَها . وَقَذَفَ بي المَوْجُ إِلى الشّاطِئِ قَريبًا مِنْ مَنْزِلٍ كَبيرٍ أَبْيَضِ اللَّوْنِ . وَخَرَجَتْ مِنَ المَنْزِلِ فَتَياتٌ كَثيراتٌ ، وَرَأَتْني صُغْراهُنَّ ، فَأَنْقَذَتْني مِنَ المَوْتِ . لَمْ أَرَها إِلّا مَرَّةً واحِدَةً ، وَلٰكِنَّني لَنْ أَنْساها ما حَييتُ ! »

قالَتْ عَروسُ البَحْرِ الصَّغيرَةُ لِنَفْسِها في حُزْنٍ شَديدٍ : إِنَّهُ لا يَعْرِفُ أَنَّني أَنا الَّتي أَنْقَذْتُهُ ! لَقَدْ حَمَلْتُهُ مِنَ البَحْرِ إِلى الغابَةِ ، ثُمَّ انْتَظَرْتُ هُناكَ بَعيدًا عَنْهُ وَلَمْ أُغادِرِ المَكانَ إِلّا بَعْدَ أَنْ أَتَتْ إِحْدى الفَتَياتِ لِلْعِنايَةِ بِهِ . لَقَدْ رَأَيْتُ تِلْكَ الفَتاةَ الجَميلَةَ الَّتي قامَتْ عَلى خِدْمَتِهِ وَالَّتي يُحِبُّها الآنَ أَكْثَرَ مِنّي . لٰكِنَّهُ لَمْ يَرَ تِلْكَ الفَتاةَ إِلّا مَرَّةً واحِدَةً ، وَأَنا مَعَهُ كُلَّ يَوْمٍ . سَأَظَلُّ دائِمًا إِلى جِوارِهِ وَسَوْفَ أُضاعِفُ مِنْ حُبّي لَهُ ، لِأَجْعَلَهُ أَسْعَدَ الرِّجالِ .

وَذاتَ يَوْمٍ ، كانَ خَدَمُ الأَميرِ يَتَحَدَّثونَ مَعًا ، فَسَمِعَتْ عَروسُ البَحْرِ الصَّغيرَةُ طَرَفًا مِنَ الحَديثِ . قالَ الخَدَمُ : « إِنَّ الأَميرَ سَيَتَزَوَّجُ أَميرَةً رائِعَةَ الحُسْنِ ، تَعيشُ في مَمْلَكَةٍ مُجاوِرَةٍ ، وَإِنَّهُ سَوْفَ يُبْحِرُ إِلَيْها عَلى سَفينَةٍ فَخْمَةٍ جَميلَةٍ . »

كانَتْ عَروسُ البَحْرِ الصَّغيرَةُ تَعْرِفُ حَقيقَةَ ما يَنْوي الأَميرُ أَنْ يَفْعَلَهُ . فَقَدْ قالَ لَها الأَميرُ في ذٰلِكَ الصَّباحِ : « أَنا مُجْبَرٌ عَلى زِيارَةِ هٰذِهِ الأَميرَةِ لِأَنَّ والِدَيَّ يُصِرّانِ عَلى أَنْ أَفْعَلَ ذٰلِكَ . لٰكِنَّهُما لَنْ يُجْبِراني عَلى الزَّواجِ بِها ، لِأَنّي لا أَسْتَطيعُ أَنْ أُحِبَّها ، فَهِيَ لا تُشْبِهُكِ وَأَنْتِ تُشْبِهينَ كَثيرًا تِلْكَ الفَتاةَ الفاتِنَةَ الَّتي رَأَيْتُها في المَنْزِلِ الأَبْيَضِ وَالَّتي أَنْقَذَتْني مِنَ المَوْتِ . »

وَاقْتَرَبَ الأَميرُ مِنْها وَرَبَتَ عَلى يَدَيْها ، فَأَحَسَّتْ عَروسُ البَحْرِ الصَّغيرَةُ بِالسَّعادَةِ .



قالَ لَها ، وَهُوَ يَقِفُ إلى جانِبِها عَلى ظَهْرِ السَّفينَةِ الَّتي أَقْلَعَتْ بِهِما إلى المَمْلَكَةِ المُجاوِرَةِ : « أَنْتِ لا تَخْشَيْنَ البَحْرَ ، أَلَيْسَ كَذلِكَ ؟ » ثُمَّ أَخَذَ يُحَدِّثُها عَنِ البَحْرِ ، وَعَنِ الأَسْماكِ الَّتي تَعيشُ تَحْتَ الماءِ ، وَهُوَ لا يَعْلَمُ أَنَّها كانَتْ ذاتَ يَوْمٍ عَروسَ بَحْرٍ .

وَعِنْدَما تَقَدَّمَ اللَّيْلُ ، وَنامَ كُلُّ رُكّابِ السَّفينَةِ ، جَلَسَتْ عَروسُ البَحْرِ الصَّغيرَةُ وَحيدَةً عَلى سَطْحِها ، وَأَخَذَتْ تَتَطَلَّعُ في صَمْتٍ إلى أَعْماقِ المِياهِ الصّافِيَةِ . وَلَمْ تَلْبَثْ أَنْ رَأَتْ أَخَواتِها يَصْعَدْنَ إلى سَطْحِ الماءِ .

نَظَرَتْ عَرائِسُ البَحْرِ الخَمْسُ في حُزْنٍ إلى أُخْتِهِنَّ الصُّغْرى ، وَمَدَدْنَ لَها

أَيادِيَهُنَّ . وَنَظَرَتْ عَروسُ البَحْرِ الصَّغيرَةُ طَويلًا إِلَيْهِنَّ ، وَأَرادَتْ أَنْ تَصِفَ لَهُنَّ سَعادَتَها العَظيمَةَ بِحَياتِها الجَديدَةِ ، وَلكِنَّها لَمْ تَسْتَطِعِ الكَلامَ .

رَسَتِ السَّفينَةُ في الصَّباحِ التّالي ، في ميناءِ الأَميرَةِ الجَميلَةِ . وَخَرَجَ النّاسُ لِلتَّرْحيبِ بِالأَميرِ ، وَانْتَشَرَ الجُنودُ في الشَّوارِعِ ، وَعَمَّ السُّرورُ جَميعَ النّاسِ . وَلَمْ تَكُنِ الأَميرَةُ في المَدينَةِ عِنْدَ وُصولِ الأَميرِ ، غَيْرَ أَنَّها حَضَرَتْ مُسْرِعَةً لِلِقائِهِ .

تاقَتْ عَروسُ البَحْرِ الصَّغيرَةُ لِرُؤْيَةِ الأَميرَةِ الجَميلَةِ . وَلَمْ تَلْبَثِ الأَخيرَةُ أَنْ ظَهَرَتْ في سِحْرٍ وَبَهاءٍ عَظيمَيْنِ ، فَأُعْجِبَتْ بِها عَروسُ البَحْرِ الصَّغيرَةُ إِعْجابًا شَديدًا . لكِنْ ما إِنْ رَآها الأَميرُ الشّابُّ حَتّى صاحَ : « يا إِلهي ! إِنَّها تِلْكَ الفَتاةُ الجَميلَةُ الَّتي أَنْقَذَتْ حَياتي ! »

وَقالَ لِعَروسِ البَحْرِ الصَّغيرَةِ : « آهٍ ، لَكَمْ أَنا سَعيدٌ ! لَمْ أَكُنْ أَتَخَيَّلُ أَبَدًا أَنَّهُ مِنَ المُمْكِنِ أَنْ تَكونَ الأَميرَةُ هِيَ نَفْسَ الفَتاةِ الَّتي أَسْرَعَتْ لِإِنْقاذي مِنْ بَراثِنِ المَوْتِ ، وَأَنا مُلْقًى في الغابَةِ قُرْبَ المَنْزِلِ الأَبْيَضِ ، وَالَّتي لَمْ تُفارِقْ صورَتُها خَيالي مُنْذُ ذلِكَ الحينِ ! وَأَنْتِ يا فَتاتِيَ المَحْبوبَةَ ، أَعْتَقِدُ أَنَّكِ مَسْرورَةٌ مِثْلي لِأَنَّني أَعْلَمُ أَنَّكِ تُحِبّينَني كَثيرًا ، وَتَتَمَنَّيْنَ لِيَ الفَرَحَ وَالسَّعادَةَ . »

اِنْحَنَتْ عَروسُ البَحْرِ الصَّغيرَةُ عَلى يَدِ الأَميرِ وَقَبَّلَتْها في حُزْنٍ شَديدٍ . وَتَلاشَتْ في تِلْكَ اللَّحْظَةِ كُلُّ آمالِها في الزَّواجِ بِأَميرِها الوَسيمِ ، وَأَدْرَكَتْ أَنَّ نِهايَةَ حَياتِها قَدِ اقْتَرَبَتْ .

نُفِخَ في الأَبْواقِ ابْتِهاجًا بِزِفافِ الأَميرَةِ الجَميلَةِ إِلى الأَميرِ الشّابِّ

وَوَقَفَتْ عَروسُ ٱلْبَحْرِ ٱلصَّغيرةُ ، في حَفْلِ ٱلزِّفافِ ، إلى جِوارِ ٱلعَروسِ ٱلفاتِنةِ وَلٰكِنَّها لَمْ تَرَ ، وَلَمْ تَسْمَعْ شَيْئًا . كانَتْ واجِمةً ، شارِدةَ ٱلفِكْرِ ، وَكانَ شَبَحُ ٱلفَناءِ ٱلرَّهيبِ يَحْتَلُّ عَقْلَها تَمامًا . كانَتْ تَتَرَقَّبُ ٱلْمَوْتَ ، وَتَعْلَمُ أَنَّها لَنْ تُبْعَثَ إلى ٱلحَياةِ مِنْ جَديدٍ ، لِأَنَّ رُوحًا مِنْ أَرْواحِ ٱلبَشَرِ لَمْ تَسْكُنْ جِسْمَها !

عادَ ٱلأَميرُ مَعَ عَروسِهِ إلى ٱلسَّفينةِ في نَفْسِ ٱللَّيْلَةِ . وَأُضيئَتْ كُلُّ ٱلجَوانِبِ وَٱلأَرْكانِ ، وَضَجَّ جَميعُ ٱلحاضِرينَ بِٱلغِناءِ ، عَلى حينَ كانَتْ عَروسُ ٱلبَحْرِ ٱلصَّغيرةُ في حُزْنٍ شَديدٍ . تَوارَتْ في رُكْنٍ قَصِيٍّ مِنَ ٱلسَّفينةِ ، وَأَخَذَتْ تَبْكي وَهِيَ تُحَدِّثُ نَفْسَها قائِلةً : « يا لَسوءِ حَظّي ! لَقَدْ هَرَبْتُ مِنْ مَنْزِلي ، وَفَقَدْتُ ٱلقُدْرةَ عَلى ٱلكَلامِ ، وَٱمْتَلأَ جِسْمي بِٱلأَوْجاعِ وَٱلآلامِ — كُلُّ هٰذا قاسَيْتُهُ مِنْ أَجْلِ ٱلأَميرِ ٱلَّذي أُحِبُّهُ . لٰكِنْ لِلأَسَفِ ها هُوَ قَدْ تَزَوَّجَ بِفَتاةٍ أُخْرى ، وَسَوْفَ أَموتُ أَنا ، في ٱلقَريبِ ٱلعاجِلِ ، مَوْتًا لا بَعْثَ مِنْهُ ! »

عِنْدَما ذَهَبَ ٱلجَميعُ لِلنَّوْمِ ، جَلَسَتْ بِمُفْرَدِها عَلى سَطْحِ ٱلمَرْكَبِ ٱلكَبيرِ ، تَتَأَمَّلُ ٱلبَحْرَ وَٱلسَّماءَ لِآخِرِ مَرَّةٍ ، قَبْلَ أَنْ يُدْرِكَها ٱلمَوْتُ . وَفَجْأَةً رَأَتْ أَخَواتِها يَخْرُجْنَ مِنَ ٱلبَحْرِ ، وَكُنَّ شاحِباتِ ٱلوُجوهِ لِلْغايةِ .

قالَتْ لَها ٱلأَخَواتُ : « لَقَدْ رَجَوْنا ٱلسّاحِرةَ أَنْ تُساعِدَكِ في مِحْنَتِكِ هٰذِهِ ، فَقالَتْ إِنَّهُ لا سَبيلَ إلى نَجاتِكِ إِلّا بِقَتْلِ ٱلأَميرِ غَدًا قَبْلَ شُروقِ ٱلشَّمْسِ . فَإِنْ فَعَلْتِ ذٰلِكَ ، أَفْلَتِّ مِنَ ٱلمَوْتِ . وَعِنْدَئِذٍ سَوْفَ تَخْتَفي ساقاكِ ، وَيَعودُ إِلَيْكِ ذَيْلُ ٱلسَّمَكةِ مَرَّةً أُخْرى ، وَتَعودينَ إلى ٱلحَياةِ مَعَنا في أَعْماقِ ٱلبَحْرِ . هَيّا أَسْرِعي بِقَتْلِ هٰذا ٱلأَميرِ ، فَنَحْنُ في ٱنْتِظارِكِ في قاعِ ٱلبَحْرِ ! »

إِخْتَفَتِ ٱلأَخَواتُ ٱلخَمْسُ في أَعْماقِ ٱلماءِ . وَتَوَجَّهَتْ عَروسُ ٱلبَحْرِ

ٱلصَّغيرةُ إلى حُجْرةِ نَوْمِ ٱلأَميرِ ، وَأَخَذَتْ تَتَأَمَّلُ وَجْهَهُ طَويلًا ، ثُمَّ قالَتْ لِنَفْسِها : « كَلّا ، لا أَسْتَطيعُ أَنْ أَقْتُلَهُ . لا أَسْتَطيعُ قَتْلَ ٱلرَّجُلِ ٱلَّذي أُحِبُّهُ . إِنَّني أُفَضِّلُ أَنْ أَموتَ وَأَفْنى عَلى أَنْ أَمَسَّهُ بِسوءٍ ! » ثُمَّ قَبَّلَتِ ٱلأَميرَ ٱلنّائِمَ في جَبينِهِ ، وَصَعِدَتْ إلى سَطْحِ ٱلسَّفينةِ ، وَوَقَفَتْ بَعْدَ ذٰلِكَ ، تَتَأَمَّلُ ٱلأَمْواجَ ٱلمُتَلاطِمةَ .

فَقَفَزَتْ إلى ٱلبَحْرِ ، وَأَخَذَتْ تَغوصُ رُوَيْدًا رُوَيْدًا تَحْتَ سَطْحِهِ . كانَتِ ٱلشَّمْسُ تَرْتَفِعُ وَسَطَ ٱلسَّماءِ ، وَكانَتْ لا تَزالُ تَرى ٱلسَّفينةَ وَٱلسَّماءَ تَلوحانِ مِنْ فَوْقِها ، وَكانَتْ تُدْرِكُ أَنَّ جَسَدَها سَوْفَ يَتَحَوَّلُ في لَحَظاتٍ إلى قَطَراتٍ مِنَ ٱلماءِ تَمْتَزِجُ بِمِياهِ ٱلبَحْرِ . وَفَجْأَةً سَمِعَتْ صَوْتَ تَسْبيحٍ آتِيًا مِنَ ٱلأَعالي ، ثُمَّ رَأَتْ أَطْيافَ ٱلمُنْشِدينَ ٱلرّائِعةَ تَلوحُ في ٱلسَّماءِ ٱلبَعيدةِ ! وما هِيَ إِلّا بُرْهةٌ خاطِفةٌ حَتّى ٱكْتَسَبَتْ جِسْمًا نورانِيًّا كَأَجْسامِ هٰؤُلاءِ ٱلمُنْشِدينَ ، فَصَعِدَتْ لِلتَّوِّ مِنَ ٱلماءِ ، وَٱرْتَفَعَتْ عالِيًا إلى ٱلسَّماءِ !

سَأَلَتْ عَروسُ ٱلبَحْرِ ٱلصَّغيرةُ ٱلكَوْكَبةَ ٱلمُضيئةَ ٱلَّتي أَحاطَتْ بِها مِنْ سُكّانِ ٱلسَّماءِ : « مَنْ أَنْتُمْ ؟ إلى أَيْنَ تَأْخُذونَني ؟ »

أَجابَتِ ٱلكَوْكَبةُ : « نَحْنُ أَبْناءُ ٱلسَّماءِ ، لَيْسَتْ لَنا أَرْواحٌ كَأَهْلِ ٱلأَرْضِ ، وَلٰكِنْ لا يُدْرِكُنا ٱلفَناءُ ٱلَّذي يُدْرِكُ ٱلمَخْلوقاتِ ٱلَّتي تَعيشُ في قاعِ ٱلبَحْرِ . نَحْنُ نَخْلُدُ عَلى مَرِّ ٱلأَزْمانِ عَنْ طَريقِ عَمَلِ ٱلخَيْرِ لِلآخَرينَ . نَحْنُ جُنْدُ ٱللهِ ٱلَّذينَ يُنْزِلونَ ٱلأَمْطارَ عَلى ٱلأَرْضِ ، وَيُخْرِجونَ ٱلأَزْهارَ ، بِإِذْنِهِ تَعالى ، مِنَ ٱلتُّرْبةِ ٱلقاحِلةِ . نَحْنُ ٱلَّذينَ نَجْلُبُ ٱلنَّوْمَ إلى عُيونِ ٱلمَرْضى وَٱلمُتَأَلِّمينَ ، كَما نَجْلُبُ ٱلفَرْحةَ إلى قُلوبِ ٱلحَزانى وَٱلأَرامِلِ . نَحْنُ مَلائِكةُ ٱللهِ ، عَزَّ وَجَلَّ ، نَأْتَمِرُ بِأَمْرِهِ ٱلمُقَدَّسِ ، وَنُنَفِّذُ مَشيئَتَهُ ٱلصّالِحةَ . لا يُمْكِنُنا ٱلحُصولُ عَلى أَرْواحٍ إِلّا بِعَمَلِ ٱلخَيْرِ ، وَلَنْ نَحْظى بِٱلخُلودِ إِلّا بَعْدَ أَنْ نَقْضِيَ

ثلاثمئة عامٍ في خدمة الله والبشر. وها أنتِ ذي يا عروس البحر المسكينة، قد أصبحتِ واحدةً منّا. لقد هربتِ من قصر أبيكِ في قاع البحر، بعد أن أحببتِ فتًى من بني البشر. ولقد أصابكِ الكثير من الألم والحزن من جرّاء هذا الحبّ، لكن يمكنكِ الآن أن تهبي نفسكِ مثلنا لعمل الخير، وجلب السعادة للآخرين. وبذلك سوف تحصلين على روحٍ خالدةٍ.»

مدّت عروس البحر ذراعيها نحو الشمس، ثمّ تطلّعت إلى أسفل حيث السفينة التي تسير في البحر.

كان الجميع على ظهر السفينة قد استيقظوا من النوم. ورأت عروس البحر الأمير الشابّ وعروسه الصغيرة الفاتنة يبحثان عنها في قلق. وخطر للأمير وزوجته أنّها ربّما تكون قد سقطت في الماء، فأخذا يجولان ببصريهما على صفحة البحر، وقد ارتسم على وجهيهما الحزن العميق. ولم تلبث عروس البحر أن هبطت من العلياء على السفينة، وقبّلت الأمير وزوجته، ثمّ ارتفعت ثانيةً إلى السماء ولم يستطع أحدٌ حينئذٍ أن يراها، فقد كانت مكتسيةً جسدها النورانيّ الجديد. لقد أصبحت ملاكًا طاهرًا صغيرًا!

قضت عروس البحر الصغيرة سنواتٍ كثيرةً في عمل الخير على الأرض، وفي نشر الحبّ والسلام بين الناس. وحين تذكّرت، وهي تسبح في الفضاء الرحب ذات يومٍ، أنّها قربت أن تحصل على روحٍ خالدةٍ وأن تحيا حياةً سعيدةً إلى الأبد، في جنّةٍ حافلةٍ بالبهجة والنعيم — في مكانٍ ما من السماء — ما إن تذكّرت ذلك حتّى أضاء وجهها بإشراقةٍ رائعةٍ ساحرةٍ، وانتفض كيانها بفرحةٍ عظيمةٍ غامرةٍ، واستأنفت في فرحٍ وحماسٍ، مسيرتها نحو الله.

ملابس الإمبراطور

كان يتربّع على عرش أحد البلاد إمبراطورٌ يهوى اقتناء الملابس الجديدة. وكان يشتري كلّ يومٍ الجديد منها، وكانت لا يمرّ عليه ساعةٌ من النهار دون أن يبدّل الملابس التي يرتديها. كان يحضر كثيرٌ من الناس لمقابلة هذا الإمبراطور. وذات يومٍ مثل أمامه رجلان من الكسالى المحتالين.



قال الرجلان: «نحن، يا مولانا خبيران في صنع نوعٍ بديعٍ نادرٍ من القماش، لا نظير له بين سائر الأقمشة. ولقد بلغ قماشنا هذا حدًّا من البهاء والروعة، يصعب معه رؤيته على معظم الناس، فلا يستطيع أن يراه سوى عظماء الرجال.»

جذب قولهم هذا اهتمام الإمبراطور فقال لنفسه: هذا قماشٌ طريفٌ للغاية، وهو جديرٌ بأن تُصنع لي منه ملابس كثيرة. ولسوف أستطيع، عن طريق ارتداء هذه الملابس، أن أكتشف العظماء في مملكتي من بين سائر رعيّتي. فالشخص الذي يتمكّن من رؤية هذه الملابس، وأنا أرتديها،

وَيَمْتَدِحُ لي جمالَها وَروْعَتها ، هُوَ رَجُلٌ عَظيمٌ وَعَبْقَرِيٌّ بلا رَيْبٍ . أَمَّا مَنْ لا يَسْتَطيعُ رُؤْيَةَ هٰذِهِ المَلابِسِ ، فَلا بُدَّ أَنْ يَكونَ غَبِيًّا جاهِلًا .

وَسُرْعانَ ما دَفَعَ الإِمْبراطورُ مَبْلَغًا كَبيرًا مِنَ المالِ لِهٰذَيْنِ الرَّجُلَيْنِ الكَسولَيْنِ ، قائِلًا لَهُما : « اِصْنَعا لي في الحالِ قَدْرَ ما تَسْتَطيعانِ مِنْ هٰذا القُماشِ العَجيبِ . »

اِنْصَرَفَ الرَّجُلانِ لِيَبْدَآ العَمَلَ في إِنْجازِ ما طَلَبَ الإِمْبراطورُ . وَبَعْدَ فَتْرَةٍ مِنَ الوَقْتِ ، طالَبا الإِمْبراطورَ بِمَزيدٍ مِنَ المالِ ، دونَ أَنْ يَقْطَعا أَيَّ شَوْطٍ في صِناعَةِ القُماشِ المَزْعومِ ، بَلْ دونَ أَنْ يَعْمَلا أَيَّ شَيْءٍ عَلى الإِطْلاقِ .

مَرَّتْ عِدَّةُ شُهورٍ ، دونَ أَنْ يَأْتِيَ الرَّجُلانِ لِلإِمْبراطورِ بِالقُماشِ المَزْعومِ . وَكانَ الإِمْبراطورُ شَديدَ اللَّهْفَةِ لِلْحُصولِ عَلى ذٰلِكَ القُماشِ الجَديدِ ، غَيْرَ أَنَّهُ خَشِيَ الذَّهابَ بِنَفْسِهِ إِلى الرَّجُلَيْنِ ، فَقَدْ حَدَّثَ نَفْسَهُ قائِلًا : ماذا إِذا لَمْ أَتَمَكَّنْ مِنْ رُؤْيَةِ هٰذا القُماشِ ؟ وَبِمَ أُجيبُ الرَّجُلَيْنِ في هٰذِهِ الحالِ ؟ أَلَنْ يُصْبِحَ هٰذا دَليلًا عَلى أَنَّني لَسْتُ رَجُلًا عَظيمًا مُتَمَيِّزًا ، وَعَلَيْهِ فَلَنْ أَكونَ جَديرًا بِالبَقاءِ عَلى عَرْشِ البِلادِ ؟

اِسْتَدْعى الإِمْبراطورُ أَعْظَمَ رِجالِ مَمْلَكَتِهِ ، وَقالَ لَهُ : « اِذْهَبْ إِلى هٰذَيْنِ الرَّجُلَيْنِ الماهِرَيْنِ وَتَأَمَّلْ في القُماشِ الجَديدِ الَّذي يَصْنَعانِهِ لي ، فَأَنا أُريدُ أَنْ أَعْرِفَ مَبْلَغَ جَمالِ هٰذا القُماشِ ، وَمَتى سَيَنْتَهِيانِ مِنْ إِعْدادِهِ . »

ذَهَبَ الرَّجُلُ العَظيمُ إِلى بَيْتِ الرَّجُلَيْنِ الكَسولَيْنِ الماكِرَيْنِ . كانَ الرَّجُلانِ يَتَظاهَرانِ بِالعَمَلِ في صُنْعِ القُماشِ المَطْلوبِ ، غَيْرَ أَنَّ مَبْعوثَ المَلِكِ لَمْ يَرَ شَيْئًا مِنْ هٰذا القُماشِ . ساءَلَ الرَّجُلُ نَفْسَهُ : تُرى ماذا يَفْعَلُ هٰذانِ الرَّجُلانِ ؟

غَيْرَ أَنَّ الرَّجُلَيْنِ لَمْ يَلْبَثا أَنْ قالا لَهُ في اهْتِمامٍ : « تَفَضَّلْ بِالاقْتِرابِ مِنّا لَوْ سَمَحْتَ . أَلا يُعْجِبُكَ قُماشُنا هٰذا ؟ أُنْظُرْ ، يا لَجَمالِهِ ! »

نَظَرَ الرَّجُلُ بِدِقَّةٍ ، وَلٰكِنْ لَمْ يَرَ شَيْئًا ، إِذْ لَمْ يَكُنْ هُناكَ قُماشٌ ! فَحَدَّثَ الرَّجُلُ نَفْسَهُ قائِلًا : تُرى ما الَّذي يَجْري في هٰذا المَنْزِلِ ؟ لَقَدْ كُنْتُ مُتَأَكِّدًا أَنَّني مِنْ عُظَماءِ الرِّجالِ وَعَباقِرَتِهِمْ ، وَمَعَ ذٰلِكَ فَأَنا لا أَسْتَطيعُ أَنْ أَرى هٰذا القُماشَ الغَريبَ ! وَلٰكِنْ يَجِبُ أَلَّا أُخْبِرَ الإِمْبراطورَ بِهٰذِهِ الحَقيقَةِ ، كَيْلا يَشُكَّ في عَظَمَتي وَمَواهِبي ، وَيَظُنَّ أَنَّني مِنَ الأَغْبِياءِ الجاهِلينَ . »

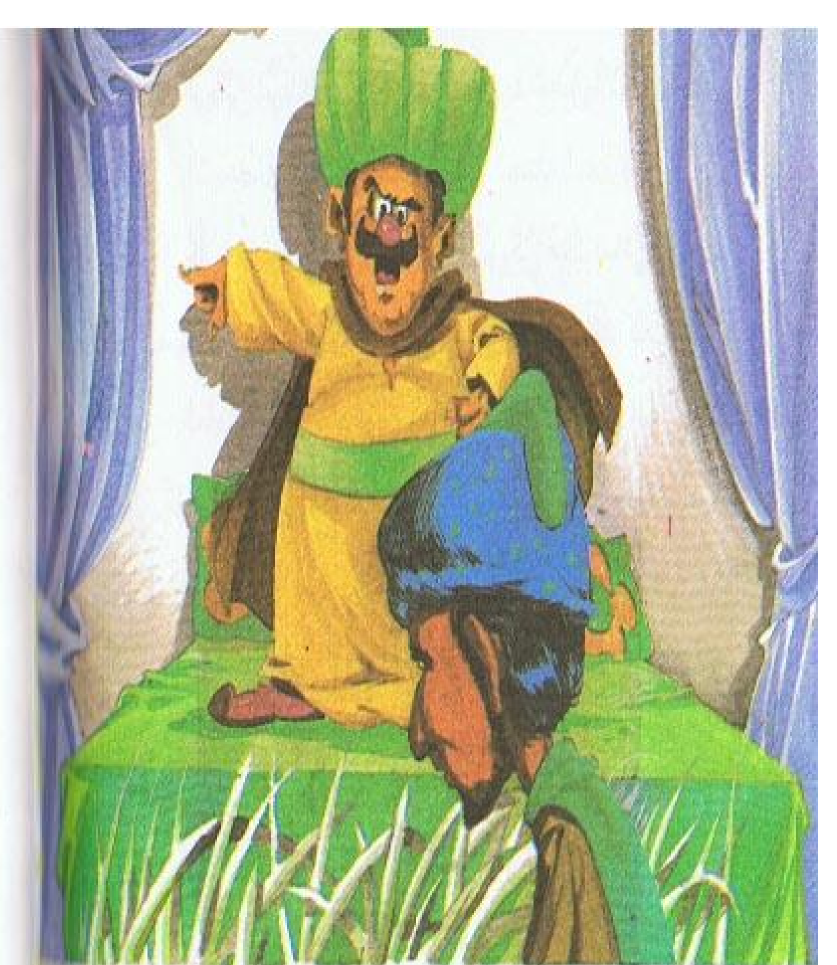
وَبادَرَهُ أَحَدُ الرَّجُلَيْنِ بِقَوْلِهِ : « أَنْتَ لَمْ تُفْصِحْ لَنا بَعْدُ عَنْ إِعْجابِكَ بِقُماشِنا ! »

أَجابَ الرَّجُلُ العَظيمُ ، وَهُوَ شارِدُ الفِكْرِ : « أَجَلْ إِنَّهُ لَقُماشٌ رائِعٌ . في الواقِعِ رائِعٌ لِلْغايَةِ ! سَوْفَ أَصِفُ جَمالَهُ وَرَوْعَتَهُ لِجَلالَةِ الإِمْبراطورِ . »

شَكَرَهُ الرَّجُلانِ ، وَأَخَذا يَصِفانِ لَهُ جَمالَ القُماشِ وَسِحْرَهُ وَلَمْ يَكُنْ في أَيْديهِما أَيُّ شَيْءٍ .

وَحاوَلَ الرَّجُلُ أَنْ يَحْتَفِظَ في ذِهْنِهِ بِكُلِّ ما قيلَ لَهُ عَنِ القُماشِ لِيُعيدَ رِوايَتَهُ عَلى الإِمْبراطورِ . وَعِنْدَئِذٍ طَلَبَ مِنْهُ الرَّجُلانِ المُحْتالانِ مَزيدًا مِنَ المالِ . وَلَمْ يَلْبَثِ الإِمْبراطورُ أَنْ أَرْسَلَ رَجُلًا آخَرَ مِنْ عُظَماءِ المَمْلَكَةِ إِلى الرَّجُلَيْنِ الكَسولَيْنِ لِيَعْرِفَ مِنْهُما مَوْعِدَ إِنْجازِ القُماشِ عَلى وَجْهِ التَّحْديدِ . وَأَتى العَظيمُ إِلى بَيْتِ الرَّجُلَيْنِ ، وَلٰكِنَّهُ لَمْ يَرَ قُماشًا .

سَأَلَهُ أَحَدُ الرَّجُلَيْنِ : « أَلا تَرى هٰذا القُماشَ الباهِرَ الجَميلَ ؟ لَقَدْ أُعْجِبَ بِهِ الرَّجُلُ العَبْقَرِيُّ العَظيمُ الَّذي زارَنا مِنْ قَبْلِكَ كُلَّ الإِعْجابِ . »



قالَ الرَّجُلُ لِنَفْسِهِ : لَسْتُ في الواقِعِ عَظيمًا ، وَلا عَبْقَرِيًّا . غَيْرَ أَنَّ هٰذا سِرٌّ أَحْتَفِظُ بِهِ لِنَفْسي ، وَيَجِبُ أَلّا أُطْلِعَ عَلَيْهِ سائِرَ النّاسِ .

وَهٰكَذا عادَ الرَّجُلُ إِلى الإِمْبَراطورِ ، وَقالَ : « إِنَّ القُماشَ بالِغُ الرَّوْعَةِ وَالجَمالِ يا مَوْلايَ ! » وَسُرْعانَ ما أَخَذَ النّاسُ جَميعًا يَتَحَدَّثونَ عَنْ ذٰلِكَ القُماشِ النّادِرِ الفَريدِ ، وَيَقولونَ إِنَّهُ مِنَ الرَّوْعَةِ وَالبَهاءِ بِحَيْثُ لا يَسْتَطيعُ أَنْ يَراهُ سِوى عُظَماءِ النّاسِ . أَمّا البُسَطاءُ مِنَ النّاسِ فَقَدْ يَتَحَسَّرونَ عَلى عَدَمِ تَمَكُّنِهِمْ مِنْ رُؤْيَتِهِ ، لِافْتِقارِهِمْ إِلى العَظَمَةِ وَالعَبْقَرِيَّةِ .

عَزَمَ الإِمْبَراطورُ عَلى مُشاهَدَةِ القُماشِ بِنَفْسِهِ ، فَاصْطَحَبَ عَدَدًا كَبيرًا مِنْ عُظَماءِ المَمْلَكَةِ إِلى حَيْثُ يَقْطُنُ الرَّجُلانِ الكَسولانِ المُحْتالانِ . وَما إِنْ

وَصَلَ الرَّكْبُ إِلى هُناكَ ، حَتّى تَلَفَّتَ الإِمْبَراطورُ فَرَأى الرَّجُلَيْنِ يَعْمَلانِ في هِمَّةٍ وَنَشاطٍ .

بادَرَ الرَّجُلانِ الإِمْبَراطورَ بِسُؤالِهِ : « أَلَيْسَ القُماشُ جَميلًا جِدًّا يامَوْلانا ؟ نَرْجوكَ أَنْ تَتَفَضَّلَ بِالنَّظَرِ بِدِقَّةٍ إِلَيْهِ ، وَلَسَوْفَ تَرى بِنَفْسِكَ رَوْعَتَهُ وَجَمالَهُ . » ثُمَّ مَدّا أَيْديهِما لِلإِمْبَراطورِ ، كَأَنَّهُما يَعْرِضانِ عَلَيْهِ القُماشَ غَيْرَ أَنَّ أَيْديهِما كانَتْ خالِيَةً تَمامًا .

عِنْدَما تَعَذَّرَتْ عَلى الإِمْبَراطورِ رُؤْيَةُ القُماشِ المَزْعومِ ، انْزَعَجَ لِذٰلِكَ جِدًّا ، وَقالَ لِنَفْسِهِ في حُزْنٍ شَديدٍ : كَيْفَ يَحْدُثُ لي هٰذا الأَمْرُ ؟ أَنا لا أَسْتَطيعُ أَنْ أَرى هٰذا القُماشَ الجَيِّدَ ! هٰذا يَدُلُّ عَلى أَنَّني لَسْتُ مِنَ الرِّجالِ العُظَماءِ ، وَهُوَ نَذيرُ شُؤْمٍ بِأَنَّني قَدْ أَفْقِدُ عَرْشي عَمّا قَريبٍ !

نَظَرَ الإِمْبَراطورُ ثانِيَةً إِلى أَيْدي الرَّجُلَيْنِ المُمْتَدَّةِ نَحْوَهُ . وَرَغْمَ أَنَّهُ لَمْ يَرَ شَيْئًا في تِلْكَ الأَيْدي ، فَإِنَّهُ صاحَ مُتَظاهِرًا بِالبَهْجَةِ وَالسُّرورِ : « آهٍ ، إِنَّهُ قُماشٌ بَديعٌ وَجَذّابٌ لِلْغايَةِ ! إِنَّهُ يَروقُني كَثيرًا ! »

تَطَلَّعَ جَميعُ العُظَماءِ الحاضِرينَ إِلى الإِمْبَراطورِ . وَمَعَ أَنَّ أَحَدًا مِنْهُمْ لَمْ يَرَ القُماشَ المَزْعومَ كَذٰلِكَ ، فَإِنَّهُمْ صاحوا جَميعًا في صَوْتٍ واحِدٍ : « جَميلٌ ! رائِعٌ ! خَلّابٌ ! مُرِ الرَّجُلَيْنِ ، يا مَوْلانا ، أَنْ يُسْرِعا في صُنْعِ هٰذا القُماشِ الفَريدِ . فَلَسَوْفَ يَنْبَهِرُ جَميعُ النّاسِ بِعَظَمَتِكَ وَبَهائِكَ ، حينَ تَسيرُ في شَوارِعِ المَدينَةِ مُرْتَدِيًا هٰذِهِ المَلابِسَ السّاحِرَةَ . »

سُرَّ الإِمْبَراطورُ كَثيرًا لِسَماعِ هٰذا الكَلامِ . وَسُرْعانَ ما قَدَّمَ لِلرَّجُلَيْنِ المُحْتالَيْنِ مَزيدًا مِنَ المالِ قائِلًا لَهُما : « أَسْرِعا في صُنْعِ هٰذا القُماشِ النّادِرِ

ٱلجميلِ ، وَلَسوفَ أجعلُكُما مِنْ عُظَماءِ ٱلمَمْلكةِ ، عَمَّا قَريبٍ . »

لَمْ يَنِمِ ٱلرَّجُلانِ في تِلْكَ ٱللَّيْلةِ ، بَلْ أَضاءا ٱلمَصابيحَ ، وَبَقِيا جالِسَيْنِ في غُرفَتِهِما طوالَ ٱللَّيْلِ ، مُتَظاهِرَيْنِ بِٱلعَمَلِ ٱلجادِّ في صُنْعِ ٱلمَلابِسِ ٱلمَطْلوبةِ لِلْمَلِكِ . وَما إنْ طَلَعَ ٱلصَّباحُ ، حَتَّى صاحا قائِلَيْنِ : « لَقَدْ أَتْمَمْنا صُنْعَ ٱلمَلابِسِ ٱلجَديدةِ لِلإمْبراطُورِ .

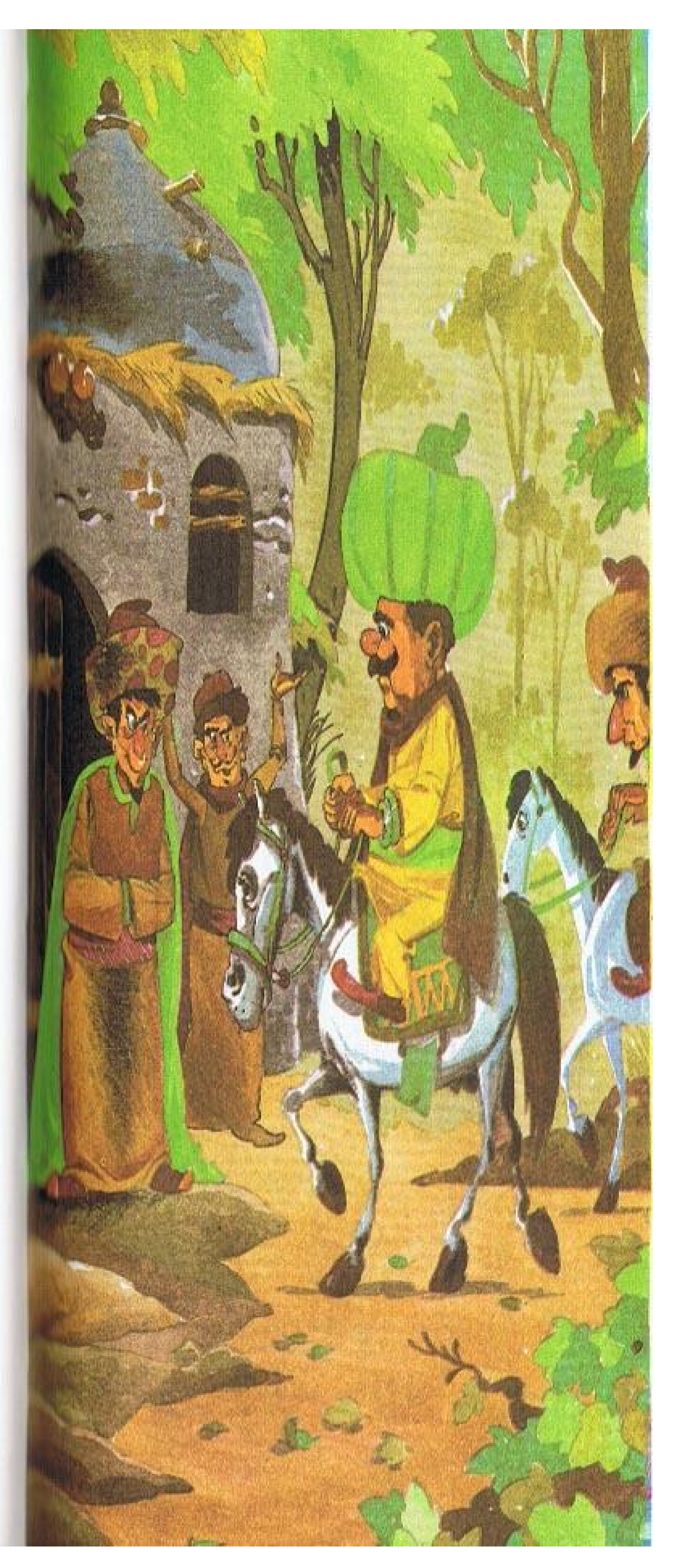
أتى ٱلإمْبراطُورُ إلى ٱلرَّجُلَيْنِ ، عَلى رَأْسِ رَكْبٍ يَضُمُّ كُلَّ عُظَماءِ ٱلدَّوْلةِ ، وَمَدَّ ٱلرَّجُلانِ أَيْدِيَهُما إلى ٱلإمْبراطُورِ ، وَظَنَّ ٱلجميعُ أَنَّهُما يَعْرِضانِ عَلَيْهِ ٱلمَلابِسَ ٱلجَديدةَ .

قالَ ٱلرَّجُلانِ ٱلمُحْتالانِ : « هاكَ مَلابِسَكَ ٱلجَديدةَ ، يا مَوْلانا . وَعِنْدَما تَرْتَدي هٰذِهِ ٱلمَلابِسَ ، سَوْفَ تُحِسُّ كَأَنَّكَ لا تَلْبَسُ شَيْئًا عَلى ٱلإطْلاقِ . وَلٰكِنَّ هٰذِهِ ٱلخاصِيَّةَ ٱلفَريدةَ هِيَ ٱلَّتي تُمَيِّزُ قُماشَنا عَنْ سائِرِ ٱلأَقْمِشةِ ، وَٱلَّتي تَدْفَعُ ٱلنَّاسَ إلى شِرائِهِ بِثَمَنٍ مُرْتَفِعٍ جِدًّا . »

وَرَغْمَ أَنَّ أَحَدًا مِنَ ٱلمُرافِقينَ لِلإمْبراطُورِ لَمْ يَرَ شَيْئًا مِنْ تِلْكَ ٱلمَلابِسِ ٱلمَزْعومةِ فَإِنَّهُمْ سارَعوا يَقولونَ : « أَجَلْ ، أَجَلْ ، يا مَوْلانا ! »

عِنْدَئِذٍ تَقَدَّمَ ٱلرَّجُلانِ مِنَ ٱلإمْبراطُورِ قائِلَيْنِ : « تَفَضَّلْ بِخَلْعِ مَلابِسِكَ ، إذا سَمَحْتَ ، حَتَّى نُلْبِسَكَ ٱلمَلابِسَ ٱلجَديدةَ ، وَنَتَأَكَّدَ مِنْ مُلاءَمةِ مَقاساتِها لِقَوامِكَ يا مَوْلانا ! »

وَهٰكَذا اضْطُرَّ ٱلإمْبراطُورُ لِخَلْعِ ٱلمَلابِسِ ٱلَّتي كانَ يَرْتَديها . وَأَخَذَ ٱلرَّجُلانِ ٱلمُحْتالانِ يُحَرِّكانِ أَذْرُعَهُما في ٱلفَضاءِ ، وَيَسيرانِ مِنْ أَمامِ ٱلإمْبراطُورِ وَمِنْ خَلْفِهِ ، وَيَأْتِيانِ مِنَ ٱلحَرَكاتِ ٱلخادِعةِ ما يُوحي بِأَنَّهُما





يُلْبِسانِهِ ٱلْمَلابِسَ ٱلْجَديدَةَ . وَجازَتِ ٱلْحيلَةُ عَلى جَميعِ ٱلْعُظَماءِ ٱلْحاضِرينَ ، فَظَنُّوا أَنَّ ٱلرَّجُلَيْنِ قَدْ أَلْبَسا ٱلإِمْبِراطُورَ مَلابِسَهُ ٱلْجَديدَةَ بِٱلْفِعْلِ .

صاحَ كُلُّ واحِدٍ مِنَ ٱلْواقِفينَ : « لَكَمْ تَبْدو أَنيقًا في مَلابِسِكَ ٱلْجَديدَةِ ،

يا مَوْلانا ! إِنَّها مُناسِبَةٌ لَكَ تَمامًا ! إِنَّها ، وَلا شَكَّ ، مَلابِسُ فاخِرَةٌ جَديرَةٌ بِأَنْ يَرْتَديها ٱلأَباطِرَةُ ! »

وَواصَلَ ٱلرَّجالُ قَوْلَهُمْ : « نَحْنُ في ٱنْتِظارِ جَلالَتِكُمْ مَعَ رِجالِ ٱلْحاشِيَةِ ، حَتَّى نَسيرَ جَميعًا في مَوْكِبِكَ ٱلْعَظيمِ . »

أَجابَ ٱلإِمْبِراطُورُ : « أَنا مُسْتَعِدٌّ تَمامًا . » ثُمَّ نَظَرَ إِلى صورَتِهِ في ٱلْمِرْآةِ ، وَأَضافَ قائِلًا : « هٰذِهِ ٱلْمَلابِسُ ٱلْجَديدَةُ جَميلَةٌ وَرائِعَةٌ لِلْغايَةِ ، تُناسِبُني تَمامًا في ٱلطُّولِ وَفي ٱلإِتِّساعِ . »

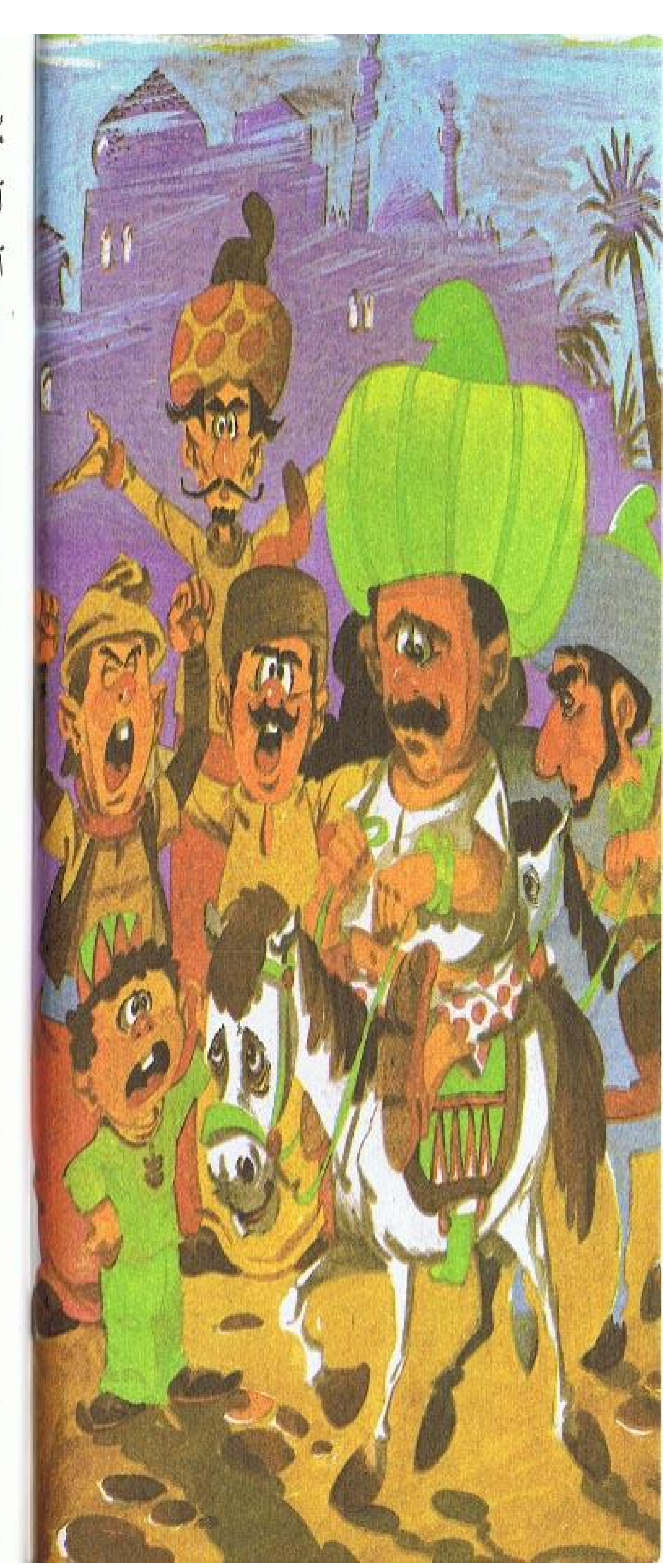
سارَ ٱلرَّكْبُ ، يَتَقَدَّمُهُ ٱلإِمْبِراطُورُ ، في شَوارِعِ ٱلْمَدينَةِ . وَصاحَ ٱلْواقِفونَ عَلى جانِبَيِ ٱلطَّريقِ ، وَٱلْمُشاهِدونَ مِنْ نَوافِذِ ٱلْمَنازِلِ وَأَسْطُحِها قائِلينَ : « يا لَفَخامَةِ ٱلْمَلابِسِ ٱلْجَديدَةِ ٱلَّتي يَرْتَديها ٱلإِمْبِراطُورُ ! »

لَمْ يُرِدْ أَحَدٌ أَنْ يَعْتَرِفَ – حَتَّى لِنَفْسِهِ – بِأَنَّهُ لا يَرى شَيْئًا مِنْ هٰذِهِ ٱلْمَلابِسِ ٱلْمَزْعومَةِ ، خَشْيَةَ أَنْ يُقالَ إِنَّهُ لَيْسَ عَبْقَرِيًّا عَظيمًا . كانَ كُلُّ فَرْدٍ مِنْ جَماهيرِ ٱلْمُشاهِدينَ يُريدُ أَنْ يَبْدُوَ لِلْآخَرينَ كَأَنَّهُ عَظيمٌ وَمَوْهوبٌ . غَيْرَ أَنَّ طِفْلًا صَغيرًا بَريئًا لَمْ يَلْبَثْ أَنْ صاحَ قائِلًا : « وَلٰكِنَّ ٱلإِمْبِراطُورَ لا يَرْتَدي شَيْئًا عَلى ٱلإِطْلاقِ ! »

وَرَدَّدَ ٱلْأَبُ ما قالَهُ طِفْلُهُ ٱلصَّغيرُ لِلرَّجُلِ ٱلْواقِفِ إِلى جانِبِهِ . وَسُرْعانَ ما ٱنْتَقَلَتْ هٰذِهِ ٱلْحَقيقَةُ مِنْ فَمٍ إِلى آخَرَ ، وَتَفَشَّتْ بَيْنَ ٱلْجُموعِ ٱلْمُتَراصَّةِ .

أَخيرًا صاحَ جَميعُ ٱلنَّاسِ صَيْحَةً واحِدَةً : « وَلٰكِنَّ ٱلإِمْبِراطُورَ لا يَرْتَدي شَيْئًا عَلى ٱلإِطْلاقِ ! »

إِغْتاظَ ٱلإِمْبَراطُورُ كَثيرًا ، إِذْ كانَ ٱلنّاسُ عَلى حَقٍّ في ذٰلِكَ . غَيْرَ أَنَّهُ كانَ مُضطَرًّا إِلى مُواصَلَةِ ٱلسَّيْرِ ، عَبْرَ ٱلشَّوارِعِ ٱلمُكْتَظَّةِ بِٱلنّاسِ ، وَهُوَ في مَلابِسِهِ ٱلدّاخِلِيَّةِ وَسارَ خَلْفَهُ ٱلعُظَماءُ ، وَرِجالُ ٱلحاشِيَةِ ، وَٱلخَدَمُ ، وَهُمْ يُدَقِّقونَ ٱلنَّظَرَ مُحاوِلينَ أَنْ يَرَوْا مَلابِسَهُ ٱلوَهْمِيَّةَ ٱلجَديدَةَ .



عُقْلَةُ ٱلإِصْبَع

يُحكى أَنَّهُ كانَتْ هُناكَ ٱمْرَأَةٌ تَوَدُّ أَنْ يَكونَ لَها طِفْلٌ صَغيرٌ ، وَعَجَزَتْ عَنْ تَحْقيقِ رَغْبَتِها ، فَاضْطُرَّتْ آخِرَ ٱلأَمْرِ لِلُّجوءِ إِلى ساحِرَةٍ عَجوزٍ .

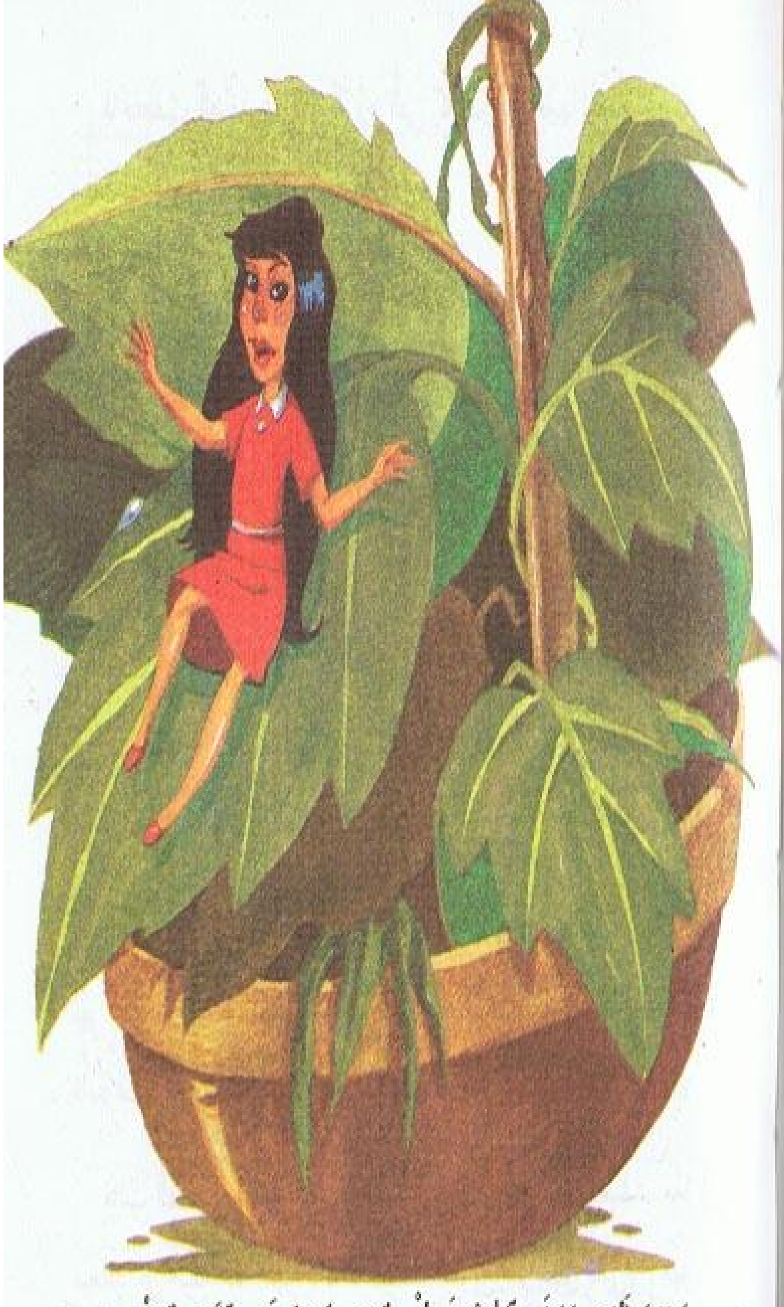
قالَتِ ٱلْمَرْأَةُ لِلسّاحِرَةِ : « كَمْ أَوَدُّ أَنْ يَكونَ لي طِفْلٌ صَغيرٌ . هَلْ في إِمْكانِكِ أَنْ تُيَسِّري لي سَبيلًا إِلى ذٰلِكَ ؟ »

أَجابَتِ ٱلسّاحِرَةُ : « هٰذا أَمْرٌ سَهْلٌ لِلْغايَةِ . إِلَيْكِ بِبَعْضِ ٱلأَعْشابِ ٱلسِّحْرِيَّةِ . اِزْرَعيها في إِناءٍ فَخّارِيٍّ صَغيرٍ ، ثُمَّ ٱنْتَظِري . »

أَخَذَتِ ٱلْمَرْأَةُ ٱلأَعْشابَ إِلى مَنْزِلِها ، وَزَرَعَتْها في إِناءٍ مِنَ ٱلْفَخّارِ ، وَسُرْعانَ ما ٱنْبَثَقَتْ مِنَ ٱلإِناءِ زَهْرَةٌ جَميلَةٌ يانِعَةٌ .

صاحَتِ ٱلْمَرْأَةُ في دَهْشَةٍ بالِغَةٍ : « يا لَها مِنْ زَهْرَةٍ جَميلَةٍ رائِعَةٍ ! » ثُمَّ ٱنْحَنَتْ عَلَيْها وَقَبَّلَتْها . وَما إِنْ قَبَّلَتِ ٱلْمَرْأَةُ ٱلزَّهْرَةَ حَتّى تَفَتَّحَتْ ، وَظَهَرَتْ بَيْنَ أَوْراقِها فَتاةٌ صَغيرَةٌ جالِسَةٌ . كانَتْ فَتاةً رائِعَةَ ٱلْحُسْنِ ، غَيْرَ أَنَّها كانَتْ صَغيرَةَ ٱلْحَجْمِ ، وَدَقيقَةَ ٱلْجِسْمِ لِلْغايَةِ . كانَتْ أَصْغَرَ مِنْ إِبْهامِ ٱلْيَدِ ؛ وَلِهٰذا فَقَدْ سُمِّيَتْ عُقْلَةُ ٱلإِصْبَعِ .

سارَتْ عُقْلَةُ ٱلإِصْبَعِ فَوْقَ مِنْضَدَةِ ٱلْمَرْأَةِ . وَكانَ هُناكَ إِناءٌ آخَرُ لِلزَّهْرِ مَمْلوءٌ بِٱلْماءِ ، وَتَبْرُزُ مِنْهُ وَرْدَةٌ ناضِرَةٌ . وَذاتَ يَوْمٍ سَقَطَتْ وَرَقَةٌ مِنْ أَوْراقِ ٱلْوَرْدَةِ في ماءِ ٱلإِناءِ . وَسُرْعانَ ما قَفَزَتْ عُقْلَةُ ٱلإِصْبَعِ فَوْقَ ٱلْوَرَقَةِ ، وَسارَتْ بِها فَوْقَ ٱلْماءِ مِثْلَ زَوْرَقٍ . وَكانَتْ عُقْلَةُ ٱلإِصْبَعِ ٱلْجَميلَةُ تُغَنّي أُغْنِياتٍ عَذْبَةً .



وَذاتَ لَيْلَةٍ ، دَخَلَتِ ٱلْحُجْرَةَ ضُفْدَعٌ عَجوزٌ عَنْ طَريقِ ٱلنّافِذَةِ ٱلْمَفْتوحَةِ ، وَكانَتْ عُقْلَةُ ٱلإِصْبَعِ نائِمَةً . كانَتِ ٱلضُّفْدَعُ كَبيرَةَ ٱلْحَجْمِ وَقَبيحَةَ ٱلشَّكْلِ لِلْغايَةِ . وَقَفَزَتْ إِلى ٱلْمِنْضَدَةِ حَيْثُ كانَتْ عُقْلَةُ ٱلإِصْبَعِ نائِمَةً فَوْقَ وَرَقَةٍ مِنْ أَوْراقِ ٱلْوَرْدَةِ .

قالَتِ ٱلضُّفْدَعُ لِنَفْسِها : « إِنَّ ٱبْني جَديرٌ بِأَنْ يَتَزَوَّجَ بِهٰذِهِ ٱلْبِنْتِ ٱلْجَميلَةِ . »

فاخْتَطَفَتِ الضُّفْدَعُ وَرَقَةَ الوَرْدِ الَّتي كانَتْ تَنامُ عَلَيْها عُقْلةُ الإصْبَعِ ، وَقَفَزَتْ بِها مِنَ النّافِذةِ إلى الحَديقةِ .

كانَ هُناكَ نَهْرٌ صَغيرٌ يَجْري في الحَديقةِ ، وَكانَتِ الضُّفْدَعُ وَابْنُها يَعيشانِ بَيْنَ الحَشائِشِ الطَّويلةِ المُمْتَدَّةِ عَلى جانِبِ النَّهْرِ .

كانَ الضُّفْدَعُ قَبيحَ الشَّكْلِ مِثْلَ أُمِّهِ . وَما إنْ رَأى عُقْلةَ الإصْبَعِ الجَميلةَ حَتّى أَخَذَ يَنِقُّ نَقيقًا مُزْعِجًا .

قالَتِ الضُّفْدَعُ لِابْنِها : « لا تَرْفَعْ صَوْتَكَ ، وَإلّا اسْتَيْقَظَتِ الفَتاةُ الصَّغيرةُ وَفَرَّتْ مَذْعورةً . هَيّا نَضَعُها في ماءِ النَّهْرِ فَوْقَ هٰذِهِ الوَرَقةِ ، لِنَطْمَئِنَّ إلى أَنَّها لَنْ تَتَمَكَّنَ مِنَ الهَرَبِ . »

وَعِنْدَما اسْتَيْقَظَتْ عُقْلةُ الإصْبَعِ في الصَّباحِ التّالي ، وَجَدَتْ نَفْسَها وَسْطَ نَهْرٍ كَبيرٍ ، تَبْعُدُ فيهِ كَثيرًا عَنْ شاطِئَيْهِ . وَصَرَخَتِ الطِّفْلةُ بِفَزَعٍ شَديدٍ ؛ فَأَسْرَعَتْ إلَيْها الضُّفْدَعُ الأُمُّ بِصُحْبةِ ابْنِها القَبيحِ الشَّكْلِ .

قالَتِ الضُّفْدَعُ لِعُقْلةِ الإصْبَعِ : « سَتَتَزَوَّجينَ بِابْني ، وَسَتَعيشانِ مَعًا في سَعادةٍ عَلى ضِفَّةِ هٰذا النَّهْرِ . » أَمّا الضُّفْدَعُ الابْنُ فَلَمْ يَنْطِقْ بِشَيْءٍ ، فَهُوَ لا يُحْسِنُ إلّا النَّقيقَ المُزْعِجَ .

بَكَتْ عُقْلةُ الإصْبَعِ المِسْكينةُ طَويلًا ، لِأَنَّها لا تَرْغَبُ في العَيْشِ في بَيْتِ الضُّفْدَعِ القَبيحةِ الشَّكْلِ . وَسَمِعَتْ صَوْتَ نَحيبِها الأَسْماكُ الصَّغيرةُ الَّتي تَعيشُ تَحْتَ الماءِ ؛ فَصَعِدَتْ إلى سَطْحِ النَّهْرِ ، وَأَخَذَتْ تَتَطَلَّعُ إلى الفَتاةِ ، فَرَقَّتْ قُلوبُها لَها ، وَمَدَّتْ أَفْواهَها إلى وَرَقةِ الوَرْدةِ وَأَمْسَكَتْ بِها ، ثُمَّ

جَذَبَتْها إلى أَسْفَلُ . فَغاصَتِ الوَرَقةُ سَريعًا تَحْتَ الماءِ ، إلى حَيْثُ لا تَسْتَطيعُ الضُّفْدَعُ الوُصولَ .

رَأى خُنْفُسٌ كَبيرٌ عُقْلةَ الإصْبَعِ ، وَهِيَ تَهْبِطُ عَلى الوَرَقةِ تَحْتَ الماءِ ، فَأَمْسَكَها ثُمَّ صَعِدَ بِها فَوْقَ إحْدى الأَشْجارِ . وَفَزِعَتْ عُقْلةُ الإصْبَعِ لِذٰلِكَ فَزَعًا شَديدًا ، غَيْرَ أَنَّ الخُنْفُسَ لَمْ يَلْبَثْ أَنْ جَلَسَ عَلى أَضْخَمِ وَرَقةٍ مِنْ أَوْراقِ الشَّجَرةِ ، وَقَدَّمَ لَها أَزْهارًا حُلْوةَ المَذاقِ لِتَأْكُلَها .

قالَ لَها الخُنْفُسُ : « إنَّكِ لا تَبْدينَ كَخُنْفُساءَ عَلى الإطْلاقِ ، فَأَنْتِ جَميلةٌ وَجَذّابةٌ لِلْغايةِ . » وَسُرْعانَ ما تَجَمَّعَتْ كُلُّ الخَنافِسِ لِرُؤْيةِ عُقْلةِ الإصْبَعِ الصَّغيرةِ المِسْكينةِ .

قالَتِ الخَنافِسُ في وَقْتٍ واحِدٍ : « إنَّها لا تَمْلِكُ إلّا ساقَيْنِ اثْنَتَيْنِ ! ما أَقْبَحَ شَكْلَها ! إنَّها تُشْبِهُ فَتاةً صَغيرةً ! »

وَلَمّا أَجْمَعَتْ كُلُّ الخَنافِسِ عَلى أَنَّ عُقْلةَ الإصْبَعِ مَخْلوقةٌ قَبيحةُ الشَّكْلِ ، بَدَأَ الخُنْفُسُ الكَبيرُ يَعْتَقِدُ أَنَّها كَذٰلِكَ فِعْلًا . وَلَمْ يَلْبَثْ أَنْ حَمَلَها إلى أَسْفَلِ الشَّجَرةِ ، وَوَضَعَها فَوْقَ إحْدى الأَزْهارِ . وَبَكَتْ عُقْلةُ الإصْبَعِ المِسْكينةُ كَثيرًا لِقَوْلِهِمْ إنَّها قَبيحةُ الشَّكْلِ ، بِالرَّغْمِ مِنْ أَنَّها كانَتْ رائِعةَ الجَمالِ .

عاشَتْ عُقْلةُ الإصْبَعِ المِسْكينةُ مُدَّةً طَويلةً بِمُفْرَدِها في الغابةِ الواسِعةِ . كانَتْ تَعْتَمِدُ في مَعيشَتِها عَلى نَفْسِها فَحَسْبُ ، فَصَنَعَتْ لِنَفْسِها فِراشًا مِنَ الأَعْشابِ ، وَغَطَّتْهُ بِزَهْرةٍ كَبيرةٍ ، كَيْ يَكونَ صالِحًا لِلنَّوْمِ عَلَيْهِ إذا سَقَطَ المَطَرُ . وَلٰكِنَّ الجَوَّ لَمْ يَلْبَثْ أَنْ تَغَيَّرَ وَأَصْبَحَ مائِلًا لِلْبُرودةِ . وَأَخَذَتِ الطُّيورُ تُهاجِرُ إلى بِلادٍ أُخْرى أَكْثَرَ دِفْئًا ، وَبَدَأَتِ الزُّهورُ تَذْبُلُ وَتَموتُ .

وَاشْتَدَّ ٱلْبَرْدُ ، وَتَساقَطَتِ ٱلثُّلوجُ وَغَطَّتْ أَرْضَ ٱلْغابَةِ ، وَعانَتْ عُقْلَةُ ٱلإِصْبَعِ كَثيرًا مِنَ ٱلْبَرْدِ ٱلْقارِسِ .

مَشَتْ عُقْلَةُ ٱلإِصْبَعِ في حَقْلٍ كَبيرٍ ، يَقَعُ عَلى مَقْرَبَةٍ مِنَ ٱلْغابَةِ وَكانَتْ حَشائِشُ ٱلْحَقْلِ تَعْلو رَأْسَها ٱلصَّغيرَ ، وَتَحْجُبُهُ عَنِ ٱلأَنْظارِ . وَلَمْ تَلْبَثْ أَنْ أَتَتْ إِلى بابِ جُحْرٍ لِفَأْرَةِ ٱلْحَقْلِ . وَكانَ جُحْرًا صَغيرًا مُحْكَمًا ، صَنَعَتْهُ ٱلْفَأْرَةُ لِنَفْسِها في باطِنِ ٱلأَرْضِ . وَوَقَفَتْ عُقْلَةُ ٱلإِصْبَعِ عِنْدَ ٱلْبابِ كَشَحّاذَةٍ فَقيرَةٍ لا تَمْلِكُ مالًا أَوْ طَعامًا .

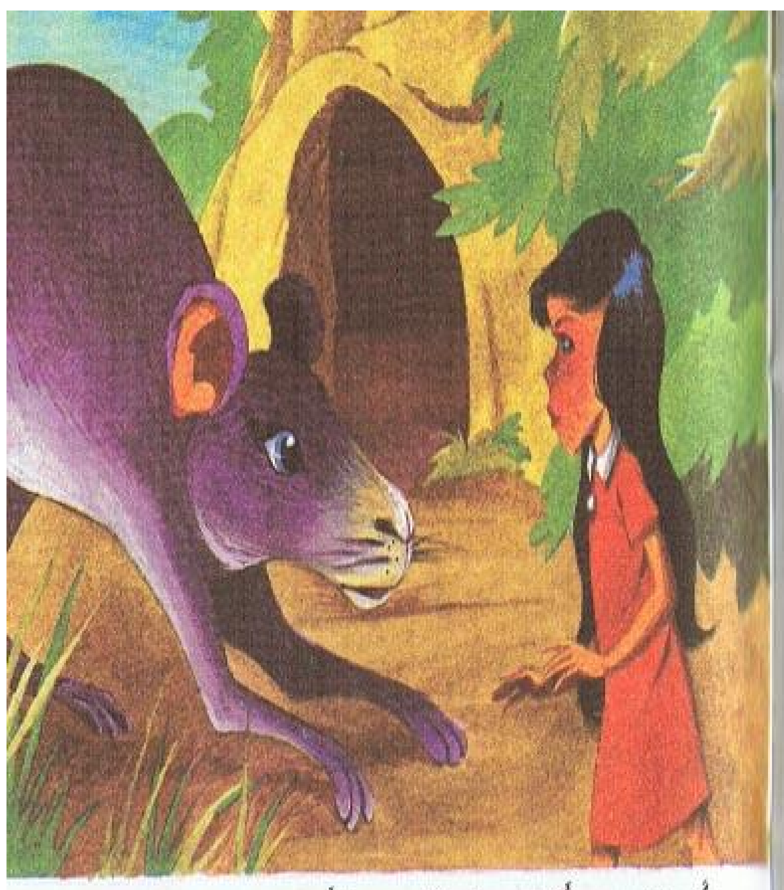
قالَتْ لَها فَأْرَةُ ٱلْحَقْلِ : « مَرْحَبًا بِكِ ، أَيَّتُها ٱلْفَتاةُ ٱلصَّغيرَةُ ٱلْمِسْكينَةُ ادْخُلي إِلى مَنْزِلي لِتَتَناوَلي بَعْضَ ٱلطَّعامِ . »

سُرَّتْ فَأْرَةُ ٱلْحَقْلِ بِعُقْلَةِ ٱلإِصْبَعِ ، وَقالَتْ لَها : « يُمْكِنُكِ أَنْ تَقْضي مَعي أَيّامَ ٱلشِّتاءِ ٱلْبارِدَةَ ، عَلى أَنْ تَقُصّي لي حِكاياتٍ كَثيرَةً ، فَأَنا أَهْوى ٱلْقِصَصَ جِدًّا . »

وافَقَتْ عُقْلَةُ ٱلإِصْبَعِ وَنَفَّذَتْ ما طَلَبَتْهُ مِنْها فَأْرَةُ ٱلْحَقْلِ . وَذاتَ يَوْمٍ قالَتْ لَها فَأْرَةُ ٱلْحَقْلِ : « سَيَحْضُرُ لِزِيارَتي أَحَدُ ٱلأَصْدِقاءِ . إِنَّهُ غَنِيٌّ جِدًّا ، وَيَمْتَلِكُ مَنْزِلًا كَبيرًا ذا غُرَفٍ عَديدَةٍ ، وَسَوْفَ تَكونينَ سَعيدَةً لِلْغايَةِ ، إِذا ما تَزَوَّجْتِ بِهٰذا ٱلصَّديقِ . »

لَمْ تُرِدْ عُقْلَةُ ٱلإِصْبَعِ ٱلزَّواجَ بِصَديقِ فَأْرَةِ ٱلْحَقْلِ ، فَقَدْ كانَ صَديقُها هٰذا خُلْدًا ضَخْمَ ٱلْجُثَّةِ . وَٱلْخُلْدُ حَيَوانٌ شَبيهٌ بِٱلْفَأْرِ .

قالَتْ فَأْرَةُ ٱلْحَقْلِ لِعُقْلَةِ ٱلإِصْبَعِ : « إِنَّ صَديقِيَ ٱلْخُلْدَ غَنِيٌّ جِدًّا ، وَهُوَ يَعْرِفُ أَشْياءَ كَثيرَةً لا نَعْرِفُها نَحْنُ ، لٰكِنَّهُ لا يُحِبُّ ٱلشَّمْسَ أَوِ ٱلأَزْهارَ ٱلْجَميلَةَ



الَّتي لا يَراها ، لِأَنَّهُ يَهْوى ٱلْحَياةَ في باطِنِ ٱلأَرْضِ . »

أَتى ٱلْخُلْدُ إِلى بَيْتِ فَأْرَةِ ٱلْحَقْلِ ، وَرَأى عُقْلَةَ ٱلإِصْبَعِ ، فَطَلَبَ مِنْها أَنْ تُغَنّيَ لَهُ . وَما إِنْ سَمِعَ غِناءَها حَتّى أَحَبَّها ، لٰكِنَّهُ لَمْ يَتَكَلَّمْ ، إِذْ كانَ قَليلَ ٱلْكَلامِ .

كانَ ٱلْخُلْدُ يَعيشُ في جُحْرٍ في باطِنِ ٱلأَرْضِ . وَسُرْعانَ ما حَفَرَ طَريقًا صَغيرًا يَصِلُ ما بَيْنَ جُحْرِهِ وَبَيْتِ فَأْرَةِ ٱلْحَقْلِ . وَبَيْنَما كانَتْ عُقْلَةُ ٱلإِصْبَعِ تَسيرُ مَعَ صَديقَتِها فَأْرَةِ ٱلْحَقْلِ في هٰذا ٱلطَّريقِ ذاتَ يَوْمٍ ، وَقَعَ بَصَرُها عَلى طائِرٍ صَغيرٍ مُلْقًى في حُفْرَةٍ بِٱلْقُرْبِ مِنْ جُحْرِ ٱلْخُلْدِ .

قالَتْ عُقْلَةُ ٱلإِصْبَعِ في حُزْنٍ بالِغٍ : « لَقَدْ ماتَ ٱلطّائِرُ ٱلْمِسْكينُ مِنْ شِدَّةِ ٱلْبَرْدِ . » وَٱنْحَدَرَتِ ٱلدُّموعُ عَلى وَجْنَتَيْها ، فَقَدْ كانَتْ تُحِبُّ ٱلطُّيورَ ٱلصَّغيرَةَ .

عِنْدَئِذٍ قالَ الخُلْدُ : « أنا لا أُحِبُّ أَنْ أَكونَ طائِرًا ، فَأَنا أُفَضِّلُ صَريخَ الفِئْرانِ عَلى زَقْزَقَةِ العَصافيرِ وَتَغْريدِ الكَرَوانِ . كَما أَنَّ الطُّيورَ المُحَلِّقَةَ في الجَوِّ لا تَلْبَثُ أَنْ تَسْقُطَ مَيْتَةً عَلى الأَرْضِ ، حينَ يَلْفَحُها البَرْدُ القارِسُ . »

صَمَتَتْ عُقْلَةُ الإِصْبَعِ ، وَلٰكِنْ ما إِنِ انْصَرَفَ الخُلْدُ وَفَأْرَةُ الحَقْلِ ، حَتّى انْحَنَتْ عَلى الطّائِرِ الصَّغيرِ ، وَقَبَّلَتْهُ عِدَّةَ مَرّاتٍ . وَلَمْ تَنَمْ عُقْلَةُ الإِصْبَعِ تِلْكَ اللَّيْلَةَ . وَغادَرَتْ فِراشَها مُبَكِّرَةً وَجَمَعَتْ بَعْضَ الحَشائِشِ وَذَهَبَتْ إِلى حَيْثُ يَرْقُدُ الطّائِرُ وَلَفَّتْ جِسْمَهُ بِالحَشائِشِ ، ثُمَّ رَفَعَتْ رَأْسَهُ عَنِ الأَرْضِ ، فَإِذا بِالطّائِرِ يَفْتَحُ عَيْنَيْهِ . كانَ حَيًّا .

وَفي اللَّيْلَةِ التّالِيَةِ ، خَرَجَتْ عُقْلَةُ الإِصْبَعِ مِنْ جُحْرِها ، وَتَوَجَّهَتْ ثانِيَةً لِزِيارَةِ طائِرِها المَريضِ . كانَ الطّائِرُ ما زالَ عَلى قَيْدِ الحَياةِ ، وَلٰكِنَّهُ لَمْ يَكُنْ قادِرًا عَلى الحَرَكَةِ . وَنَظَرَ الطّائِرُ إِلى عُقْلَةِ الإِصْبَعِ نَظْرَةً حانِيَةً تَفيضُ بِالحُبِّ اعْتِرافًا بِالجَميلِ .

وَقالَ الطّائِرُ لِلْفَتاةِ الصَّغيرَةِ : « أَشْكُرُكِ مِنْ كُلِّ قَلْبي ، أَيَّتُها الفَتاةُ العَطوفُ . أَنا لا أُحِسُّ الآنَ بِالبَرْدِ ، وَسَوْفَ أَسْتَطيعُ النُّهوضَ وَالتَّحْليقَ في السَّماءِ مَرَّةً أُخْرى . »

أَجابَتِ الفَتاةُ : « لا ! إِنَّ الجَوَّ في الخارِجِ شَديدُ البُرودَةِ ، كَما إِنَّ الثُّلوجَ تَتَساقَطُ بِشِدَّةٍ . اِبْقَ هُنا في فِراشِكَ ، وَسَوْفَ أُحْضِرُ لَكَ ما تَحْتاجُهُ مِنْ طَعامٍ وَشَرابٍ . »

بَقِيَ الطّائِرُ الجَميلُ عِدَّةَ أَيّامٍ في رِعايَةِ عُقْلَةِ الإِصْبَعِ ، الَّتي كانَتْ تَأْتي لَهُ بِالماءِ وَكِسَرِ الخُبْزِ . وَلَمْ تُخْبِرِ الفَتاةُ فَأْرَةَ الحَقْلِ أَوِ الخُلْدَ بِشَيْءٍ عَنْ هٰذا

الطّائِرِ . وَما إِنِ انْكَسَرَتْ حِدَّةُ البَرْدِ ، وَعاوَدَتِ الشَّمْسُ الإِشْراقَ ، حَتّى كانَ الطّائِرُ قَدْ شُفِيَ تَمامًا .

قالَ الطّائِرُ لِعُقْلَةِ الإِصْبَعِ : « انْظُري إِلى الشَّمْسِ الدّافِئَةِ . هَيّا نَنْطَلِقْ مَعًا . يُمْكِنُكِ الجُلوسُ عَلى ظَهْري ، وَسَوْفَ أَطيرُ بِكِ بَعيدًا في الغابَةِ . »

قالَتْ عُقْلَةُ الإِصْبَعِ : « لا ! لا أَسْتَطيعُ ذٰلِكَ ياعَزيزي ! فَإِنَّ فَأْرَةَ الحَقْلِ سَوْفَ تَحْزَنُ كَثيرًا لِفِراقي ! »

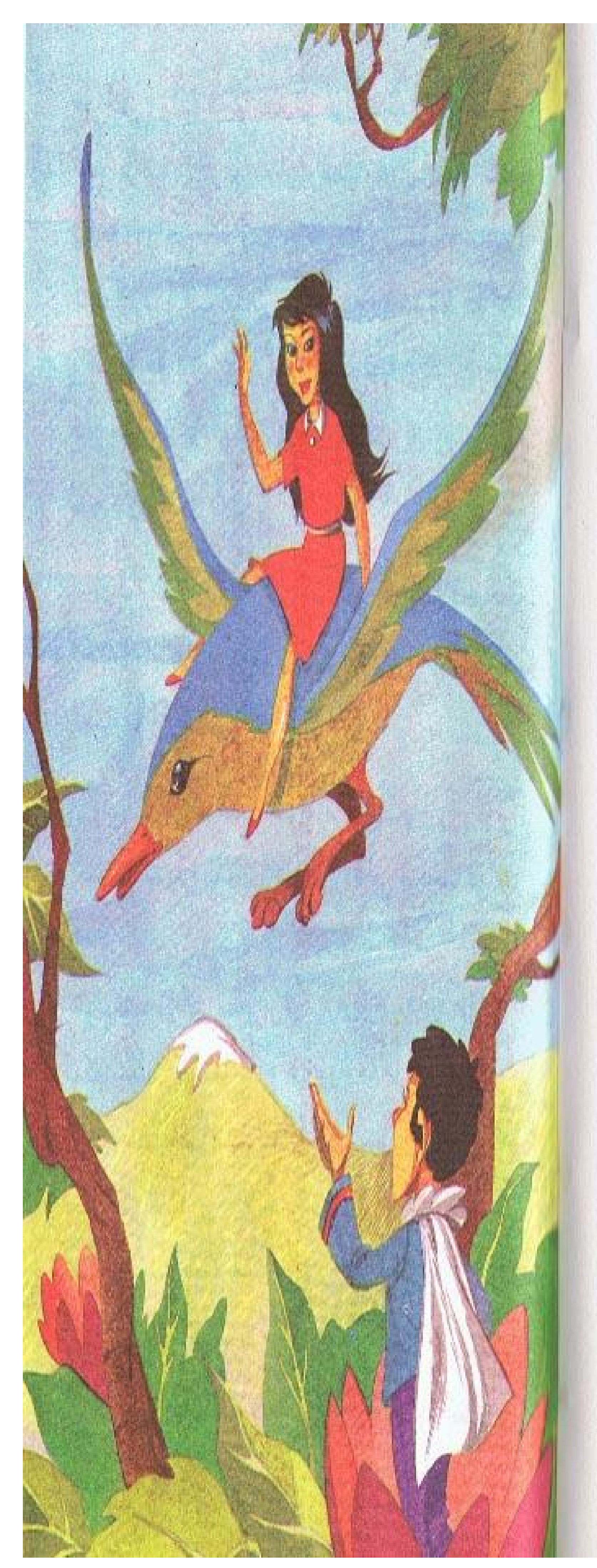
قالَ الطّائِرُ : « وَداعًا إِذًا . وَداعًا ، أَيَّتُها الفَتاةُ الطَّيِّبَةُ الجَميلَةُ ! » ثُمَّ حَلَّقَ عالِيًا في الفَضاءِ الرَّحيبِ . حَدَّقَتْ عُقْلَةُ الإِصْبَعِ طَويلًا في الطّائِرِ المُحَلِّقِ ، وَعِنْدَما اخْتَفى عَنْ بَصَرِها بَكَتْ ، فَقَدْ أَحَبَّتْهُ كَثيرًا .

قالَتْ فَأْرَةُ الحَقْلِ لِعُقْلَةِ الإِصْبَعِ : « سَوْفَ أُزَوِّجُكِ قَريبًا ، ياعَزيزَتي ، فَالخُلْدُ يُريدُ الزَّواجَ بِكِ . يا لَحَظِّكِ السَّعيدِ ! يَجِبُ أَنْ تَبْدَئي في إِعْدادِ مَلابِسَ كَثيرَةٍ وَأَنيقَةٍ لِهٰذا الزَّواجِ . »

أَخَذَتْ عُقْلَةُ الإِصْبَعِ تَعْمَلُ بِجِدٍّ وَنَشاطٍ في إِعْدادِ مَلابِسِها الجَديدَةِ . وَكانَ الخُلْدُ يَأْتي كُلَّ لَيْلَةٍ لِيَراها . وَقالَ لَها ذاتَ يَوْمٍ : « سَوْفَ نَتَزَوَّجُ قَريبًا ، ياعَزيزَتي قَبْلَ أَنْ تَهْبِطَ حَرارَةُ الجَوِّ . »

كانَتْ عُقْلَةُ الإِصْبَعِ تَخْرُجُ مِنْ جُحْرِها كُلَّ صَباحٍ ، لِتَنْظُرَ بِفَرَحٍ إِلى الشَّمْسِ السّاطِعَةِ في السَّماءِ وَهِيَ تَنْشُرُ أَشِعَّتَها عَلى وَجْهِ الأَرْضِ . وَكانَتْ تَوَدُّ رُؤْيَةَ الطّائِرِ الصَّغيرِ الجَميلِ ، وَلٰكِنَّهُ لَمْ يَعُدْ .

وَذاتَ صَباحٍ قالَتْ لِفَأْرَةِ الحَقْلِ : « لا أُريدُ الزَّواجَ بِصَديقِكِ الخُلْدِ . »



أجابت الفأرة العجوز : « ستتزوجينه رغمًا عنك . فإن لم تفعلي ، أو سعتك عضًا بأسناني البيضاء القارضة . إن الخلد مخلوق عظيم ، ولديه طعام وفير للغاية . »

جاء الخلد للزواج بعقلة الإصبع . وقال لها ، والسرور يبدو على وجهه : « ستعيشين معي من اليوم في جحري الخاص بعيدًا عن أشعة الشمس . »

حزنت عقلة الإصبع حزنًا شديدًا ، ومشت بضع خطوات بعيدًا عن جحر فأرة الحقل ثم مدت ذراعيها نحو الشمس ، وقالت وهي تبكي : « وداعًا أيتها الشمس وداعًا ! إذا ما رأيت طائري العزيز ذات يوم فأخبريه بكل ما جرى لي ! » لكن الطائر الجميل لم يلبث أن هبط من السماء ، وفرح كثيرًا عندما رأى عقلة الإصبع .

صاحت عقلة الإصبع عندما رأته : « لا أريد الزواج بالخلد القبيح الشكل ، فأنا لا أستطيع العيش في حفرة في باطن الأرض ، بعيدًا عن الشمس الحلوة الدافئة . »

أجابها الطائر قائلًا : « إن الأيام الباردة توشك أن تحل ، ولسوف أهاجر إلى بلاد بعيدة أكثر دفئًا . هلا تأتين معي ، أيتها الصغيرة الجميلة ؟ يمكنك الجلوس على ظهري ، وعندئذ سوف أطير بك بعيدًا عن هذا الخلد القبيح . سوف أحملك بعيدًا جدًا فوق التلال والبحار ، وأذهب بك إلى بلاد بهيجة مشرقة ، تزخر بالنباتات والأزهار الجميلة . »

قالت عقلة الإصبع على الفور : « نعم ، سآتي معك . » وركبت فوق

ظَهْرِ الطَّائِرِ ، وَثَبَّتَتْ قَدَمَيْها الصَّغيرَتَيْنِ حَوْلَ جَناحَيْهِ ، وَحَلَّقَ الطَّائِرُ في الفَضاءِ الرَّحْبِ . وَعَبَرَ بِها الغاباتِ وَالبِحارَ وَالجِبالَ الشَّاهِقَةَ المُغَطَّاةَ بِالثُّلوجِ . وَفي خِتامِ الرِّحْلَةِ وَصَلا إلى جَزيرَةٍ نائِيَةٍ مُشْمِسَةٍ ، لا تَعْرِفُ بَرْدَ الشِّتاءِ القارِسَ . كانَتِ الأَشْجارُ ، في تِلْكَ الجَزيرَةِ ، مَمْلوءَةً بِالفَواكِهِ ، وَكانَتِ الأَزْهارُ البَديعَةُ تَتَراقَصُ عَلى جَوانِبِ الطُّرُقِ وَالمَسالِكِ . وَعَلى ضِفَّتَيْ نَهْرٍ رائِقٍ صافٍ ، تَنْمو أَشْجارٌ باسِقَةٌ خَلَّابَةٌ كانَ أَطْفالُ الجَزيرَةِ يَمْرَحونَ في سَعادَةٍ في ظِلالِها .

قالَ الطَّائِرُ لِعُقْلَةِ الإِصْبَعِ : « عُشّي هُناكَ فَوْقَ إِحْدَى هٰذِهِ الأَشْجارِ العالِيَةِ الجَميلَةِ ، وَلٰكِنَّكِ إِذا عِشْتِ فيهِ ، فَلَنْ تَكوني سَعيدَةً . تَأَمَّلي تِلْكَ الأَزْهارَ الجَميلَةَ ، وَاخْتاري مِنْها واحِدَةً لِأَضَعَكِ عَلَيْها . »

وَلَمْ يَلْبَثِ الطَّائِرُ أَنْ هَبَطَ بِها نَحْوَ الأَرْضِ ، وَوَضَعَها في رِقَّةٍ بالِغَةٍ فَوْقَ إِحْدَى وَرَقاتِ زَهْرَةٍ بَيْضاءَ . وَكانَتِ الزَّهْرَةُ تُخْفي في داخِلِها فَتًى دَقيقَ الجِسْمِ مِثْلَها .

وَسُرْعانَ ما بَرَزَ الفَتى الصَّغيرُ مِنْ داخِلِ الزَّهْرَةِ قائِلًا : « كُلُّ زَهْرَةٍ في هٰذا المَكانِ يَسْكُنُها رَجُلٌ صَغيرٌ جِدًّا أَوِ امْرَأَةٌ ، وَأَنا هُنا أَميرُ هٰؤُلاءِ الصِّغارِ . »

قالَتْ عُقْلَةُ الإِصْبَعِ لِلطَّائِرِ : « يا لَهُ مِنْ فَتًى وَسيمٍ ! » وَبَدَتْ عَلى الأَميرِ الصَّغيرِ دَلائِلُ الخَوْفِ مِنَ الطَّائِرِ الَّذي كانَ يَبْدو عِمْلاقًا بِالنِّسْبَةِ إِلَيْهِ . وَلٰكِنْ ما إِنْ نَظَرَ إِلى عُقْلَةِ الإِصْبَعِ ثانِيَةً ، حَتَّى انْشَرَحَ صَدْرُهُ ، وَابْتَهَجَ فُؤادُهُ ، فَقَدْ كانَتْ أَجْمَلَ فَتاةٍ وَقَعَ عَلَيْها نَظَرُهُ .

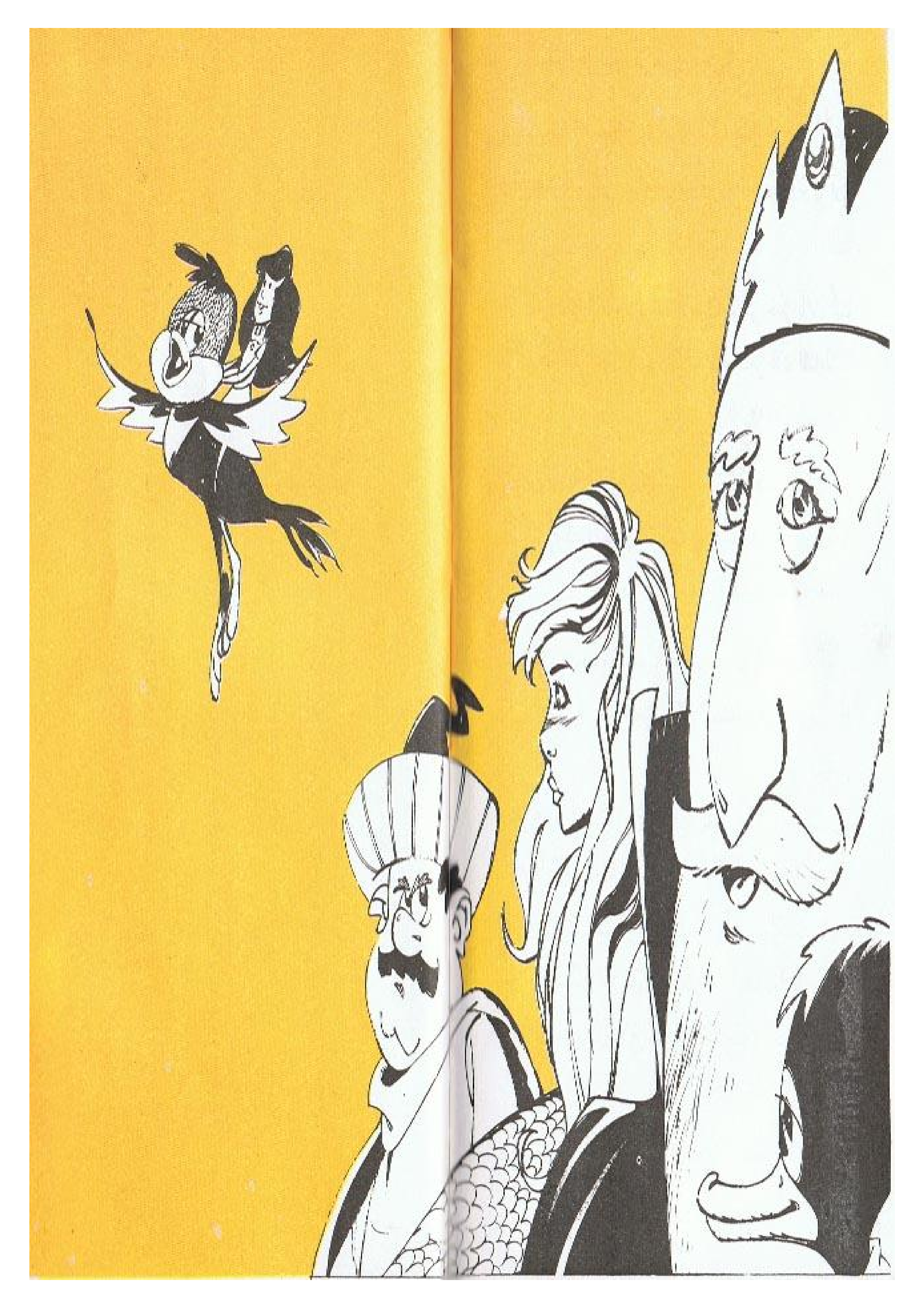
سَأَلَها : « ما اسْمُكِ ؟ » وَعِنْدَما أَخْبَرَتْهُ قالَ لَها : « سَوْفَ أَجْعَلُكِ أَميرَةً

عَلى كُلِّ الأَزْهارِ . هَلْ تَقْبَلينَ أَنْ تَكوني زَوْجَتي ؟ »

صاحَتْ عُقْلَةُ الإِصْبَعِ قائِلَةً : « نَعَمْ ! نَعَمْ ! » عِنْدَئِذٍ خَرَجَ مِنَ الأَزْهارِ المُحيطَةِ بِهِما عَدَدٌ كَبيرٌ مِنَ الصِّغارِ ، وَأَخَذَ الجَميعُ يَرْقُصونَ في فَرَحٍ وَسَعادَةٍ .

قالَ الأَميرُ لِعُقْلَةِ الإِصْبَعِ : « عُقْلَةُ الإِصْبَعِ اسْمٌ غَيْرُ جَديرٍ بِكِ . أَنْتِ أَجْمَلُ مِنْ أَنْ تُسَمَّيْ بِهٰذا الاسْمِ . سَوْفَ نَدْعوكِ مِنَ الآنَ فَصاعِدًا .. مايا . »

وَعاشَتْ مايا وَالأَميرُ في سَعادَةٍ .



الحكايات اللطيفة

١ - حكايات من ألف ليلة وليلة
٢ - البطة الصغيرة القبيحة وقصص أخرى
٣ - الجواد الأسود الشجاع
٤ - حكايات من تاريخ العرب
٥ - الصندوق العجيب وقصص أخرى
٦ - الحذاء السحري وقصص أخرى
٧ - أليس في بلاد العجائب
٨ - حورية النار وقصص أخرى
٩ - أولاد الغابة



مكتبة لبنان
ساحة رياض الصلح - بيروت
رقم مرجع كمبيوتر 602 198 C 01


ARAB COMICS
عرب كوميكس
AC
www.arabcomics.net